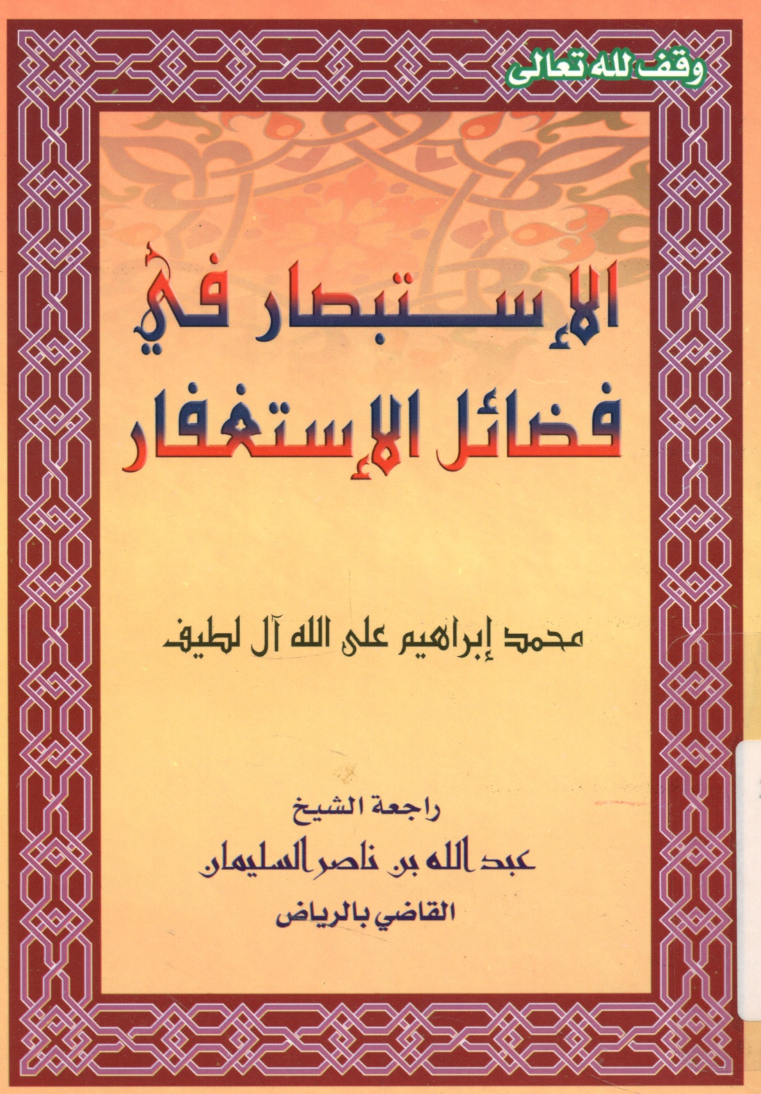


وقف لله تعالى

الإستبصار في فضائل الإستغفار

محمد إبراهيم على الله آل لطيف

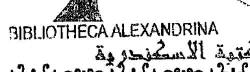
راجعة الشيخ

عبد الله بن ناصر السليمان

القاضي بالرياض

الإستبصار في فضائل الإستغفار

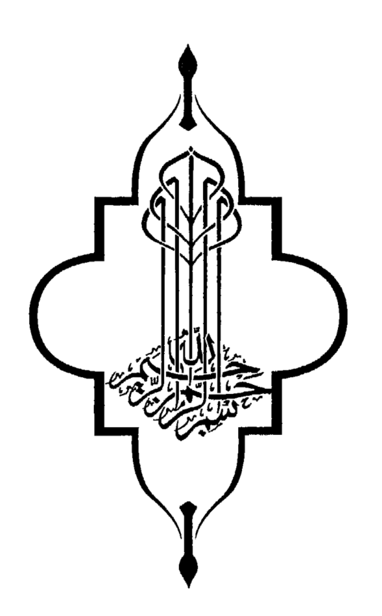
محمد بن إبراهيم على الله



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل لطيف ، محمد ابراهيم على الله
الاستبصار في فضائل الاستغفار - ط ٢ - الرياض ١٤٢٥ هـ
١٤٣ ص ، ١٤ X ٢٠ سم
ردمك X ٨٧٢ - ٤٤ - ٩٩٦٠
١- الأدعية و الأوراد   ٢- الاستغفار   أ- العنوان
ديوي ٩٣ و ٢١٢   ١٤٢٥ / ٢٢٧٠

رقم الإيداع : ١٤٢٥ / ٢٢٧٠
ردمك X ٨٧٢ - ٤٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الثانية
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب (الفهرس)

الإهـداء

* إلى الإمـامـين الجليليين والطوديـن الأشـمين عبدالعزيز بن باز ومحمد بن عثيمين «رحمهما الله»

* إلى من استحضر ذلك الحديث، هل من داعي فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، فقام يصلي من الليل ثم جلس يستغفر لنفسه وللمسلمين.

* إلى كل من لهج لسانه بالإستغفار في كل وقت وحين.

* إلى فلذات كبدي جميعاً.. علهمّ أن يستغفروا لأبيهم فترفع درجته بإستغفارهم.

بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم للطبعة الثانية

الحمد لله العزيز الغفار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وأصحابه أولو الإفهام والأبصار وبعد .

فقد اطلعت على هذا الكتاب الموسوم (الاستبصار في فضائل الاستغفار) لمؤلفه الأخ في الله محمد بن إبراهيم على الله آل لطيف وذلك في طبعته الأولى عام ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م فألفيته قد حوى فوائد جمه وجمع مادة علمية قوية واستقصى ما ورد في الباب من الأدلة من الكتاب والسنة وقد أفدت منه كثيراً وقد سبق أن كتبت للمؤلف حينما قرأته مسودة بعض ما لاحظته على أن يتدارك هذه الملاحظات ثم يراجعني وقام بتدارك الملاحظات قدر الطاقة وفيما اقتنع به وما سمح به حجم الكتاب إلا أنه جزاه الله خيراً لم يراجعني بعد ذلك لعله لضيق الوقت ووضع خطابي له في أول الكتاب مع أن هذه الملاحظات لم يعد لها مكان منذ طبعته الأولى حيث تم تلافيها قبل الطبع والآن الكتاب يعتبر بعد طباعته الأولى وفي طبعته الثانية من أفضل ما جمع في بابه وإنني أوصي بقراءته والتمعن فيه ولزوم ما هدف إليه ألا وهو الاستغفار ففيه مغفرة السيئات وتكثير الحسنات

إذ هـو عـبادة لله تعـالى وتأسياً بالـنبي صـلى الله علـيه وسـلم وإذهـاب للهم والغم وتنفـيس الكـرب وجلـب الـرزق وإنـزال المطـر وإكثار الولد وحصول المتاع الحسن وحب الله للعبد واستصغار العبد لحسناته وتعظيمه لسيئاته فيزيد خشوعه إلى الله ولا يمـن بطاعـته علـيه وغـير ذلـك كـثير ممـا ستجده أيها القارئ الكريم في هذا الكـتاب الذي حرص مؤلفه على أن يلم شمل هذا الموضوع فما أجمل ما قصد !! وما أحسن ما جمع !! نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يغفر لنا وله وأن يجمعـنا وإيـاه وإيـاكم في مسـتقر رحمـته في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقـتدر وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين وصـلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قاله الفقير إلى عفو ربه

عبد الله ناصر بن محمد السليمان

القاضي بالمحكمة العامة بالرياض

١٤٢٥/٤/١٢ هـ

المقدمـــة

الحمد لله الحليم الغفار الكريم الستار غافر الذنوب والأوزار وساتر العيوب والأقذار وهو العزيز الجبار، جعل في الناس دواعي الخير والشر بإرادته فمنهم شقي وسعيد، وفجار وأبرار، ومؤمنون وكفار وأخيار وأشرار إبتلاهم بالمعاصي والذنوب وفتح عليهم التوبة لمن يتوب ودعاهم إلى الإقالة والرجوع عن العيوب، وحثهم على الإنابة والإستغفار وجعل فيه الذل والإنكسار والرغبة والإفتقار إلى الرب العزيز الجبار. وأشهد أن لا إله الا الله الواحد القهار، منَّ بالتوبة بعد الحوبة وحث على الإستغفار أنآء الليل وأطراف النهار، وأشهد أن محمد عبده ورسوله به شع نور الهداية على سائر الأقطار ودخل ناس كثير بسلوكه رحمة الغفار، وشمل بعطفه ورحمته المذنبين والأطهار وصلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار، وما غردت الأطيار وكلما استغفر المذنبين وتاب الفجار.

أما بعد :-

فالإستغفار باب عظيم من أبواب الخير، ومدخل كبير لرفع الدرجات وزيادة الحسنات، فيه تتجلى رحمة الإسلام وتتضح سماحة الدين ويسره، فالإسلام يستر الذنب والتقصير ويمحوه الإستغفار والتوبة لا كما يحدث في النصرانية المحرفة من صكوك الغفران لمحو الذنوب زعموا. فالإستغفار يربط الإنسان بخالقه «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك..»رواه الترمذي. وفي الإستغفار تعبد محض وشعور دائم بالتقصير يدفع للإستزادة من الخير والعمل الصالح، روى مسلم «يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من اعفيت فاستغفروني أغفر لكم..» وما أعظم أن يقال لك قد غفرت لك واجرتك مما استجرت وما ذلك إلا بالإستغفار وملازمته.

وإنه لشرف لي عظيم أن أكتب فى موضوع الإستغفار بعد توفيق الله ورحمته كتيب - بعنوان (الإستبصار في فضائل الإستغفار) ولقد جمعت فيه كثير من أقوال

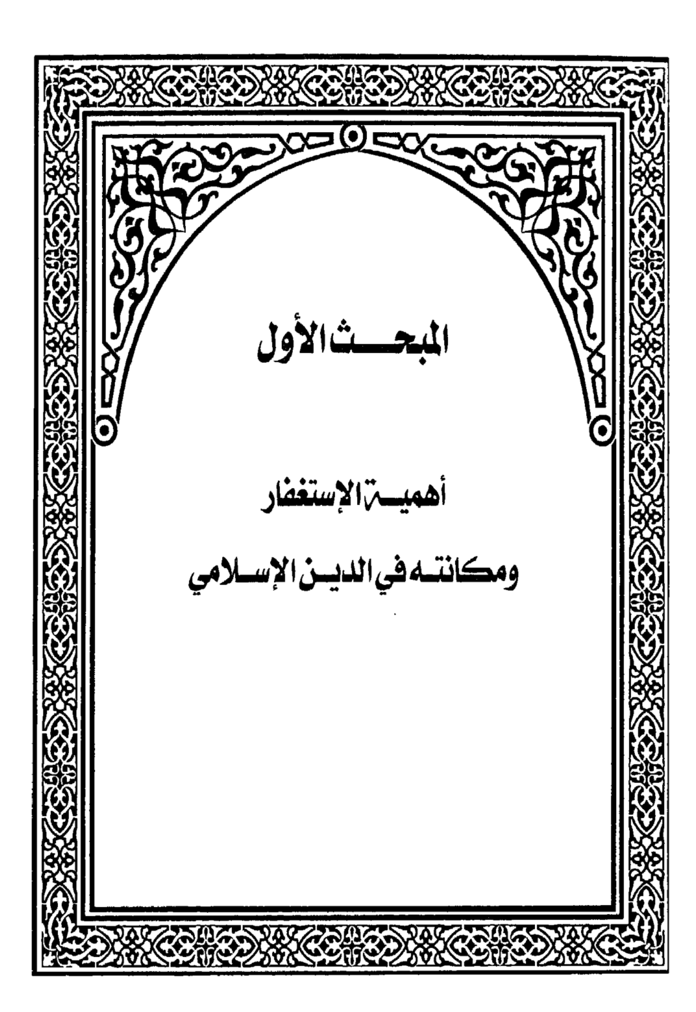
المستغفرين والعلماء وجعلته عدة مباحث فبدأت بأهمية الإستغفار ومكانته ثم بمعنى الإستغفار عند العلماء ثم ذكرت أن الإستغفار حاجة دائمة للعبد، ثم عددت أكثر من خمسين موطنا يستحب فيه الإكثار من الإستغفار وقد استبطتها من الآيات والأحاديث الدالة عليه، ثم ذكرت أقوال مضيئة للعباد والزهاد والمستغفرين بالأسحار، ثم ذكرت الآيات الآمرة بالإستغفار مع شرح مختصر لها وعددها ١٨ آية من كتاب الله، وبعدها نقلت أقوال المفسرين فى الآيات التى جاء فيها الإستغفار بصيغة الحث والندب وعددها ست عشرة آية وهذا فيه سر حيث غلبت أعداد الآيات التى جاء فيها الأمر على الندب وهذا يبين أهمية الإستغفار ومكانته فى الدين الاسلامي وعظم شأنه عند الله سبحانه وتعالى، ثم ذكرت قريبا الى ٣٠ حديثا من أحاديث المصطفى ﷺ تندب إلى الإستغفار ولم أتعرض إلى شرحها وتفسيرها واكتفيت بالذكر ثم ختمت الموضوع بمبحث هام وهو إستنتاج اكثر من خمسين فائدة للإستغفار مع الأدلة. فالحمد لله على توفيقه وإمتنانه باكمال هذا البحث.

كما أشكر فضيلة الأخ / الشيخ عبدالله بن ناصر السليمان على مراجعته للكتيب وتصويبه، وابداء الملاحظات التي أفدت منها، فله الشكر والعرفان وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء ويحفظه بحفظه.

وأخيراً أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا صوابًا ينفعني والمسلمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم.

وها قد بذلت النصح جهدي   وإني مقر بتقصيري وبالله اهتدي،،،

المؤلف / أبو خالد
صفر ١٤٢٠هـ
ص. ب/ ٧٠٦٣٠
الرمز ١١٥٧٧ - الرياض
الجوال
٠٥٠٦٢١٦٢٠٥



المبحث الأول

أهمية الإستغفار
ومكانته في الدين الإسلامي

أهمية الإستغفار ومكانته

الإستغفار ذو أهمية كبيرة في حياة المسلم لأن فضائله كثيرة وبركاته غزيرة وقد أعلى الله من شأنه في كتابه العزيز وذكره آمراً المسلمين بالإستغفار في أكثر من ثمان عشرة آية وذكره بصيغة الندب في ست عشرة آية وهذا يدل على عظم منزلته ومحبة الله له من عبده، لأن به تكشف الكروب وتمحى الذنوب وتستر العيوب وتطهر القلوب، وبالإستغفار تنزل البركات من السماء وتكثر الأموال والبنين وأعظم من هذا كله ما يحصل في الآخرة من رفعة الدرجات في جنات النعيم، والإستغفار عبادة لله عز وجل قائمة بذاتها نتعبد الله بها وقربة من القربات، فكل محتاج إلى الإستغفار حتى الأنبياء والرسل والملائكة عليهم جميعا الصلاة والسلام، فهذا نبينا محمد وقدوتنا خير مثل في ذلك فلقد كان يكثر من الإستغفار والعبادة الشيء الذي نحن أشد حاجة إليه لدنو حالنا وضعف إيماننا، فكان ﷺ يلهج بالإستغفار دائماً وجالساً وقائماً فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: استغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ.

ونحن قبل ذلك كله محتاجون إلى الإستغفار بل إلى معرفة معانيه وأسراره والمحافظة عليه والإكثار منه، ففيه الذل لله والإنكسار وتجلي العبودية والخضوع للخالق سبحانه.

وإذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبده خيراً فتح له من باب التوبة والإستغفار والندم والإنكسار والذل لله والإفتقار ودوام التضرع والإبتهال، ما تكون تلك السيئة سبب في رحمة الله حتى يقول عدو الله إبليس يا ليتني تركته ولم أوقعه فيها.

وقد ذكر الله عن آدم ابي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه، أما ابليس ابي الجن فلعنه وأقصاه لأنه ترك التوبة وتعلق بالقدر، فمن أذنب وتاب وندم فقد تشبه بأبيه آدم ومن أذنب وأصر فقد تشبه بإبليس.

فالإستغفار حاجة دائمة للمسلم ولأهميته قرن الله عز وجل بينه وبين التوحيد في غير آية كما قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(١) . ودعانا الله سبحانه وتعالى عندما نذنب أن نعجل بإستغفاره لأنه يغفر الذنوب سبحانه لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢) .

وفي حديث أنس « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك» رواه الترمذي .

والإستغفار ذو شأن عظيم ومنافع جمة دنيوية وأخروية فبه أُمر محمد ﷺ وأمرت أمته من بعده بملازمته قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(٤) .

وبالإستغفار ضمنت أمة محمد ﷺ الإهلاك العام وعدم نزول العذاب ، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٥) .

وبالإستغفار أمر نبي الله صالح قومه وأرشدهم إليه قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(٦) .

---

١ - محمد (١٩)   ٢ - النساء (١١٠) .
٣ - آل عمران (١٥٩) .   ٤ - غافر (٥٥) .
٥ - الأنفال (٣٣) .   ٦ - هود (٥٢،٦١) .

وبالإستغفار ندب نوح قومه ورغبهم بإدرار السماء وكثرة الأموال والأولاد وكذلك هود عليه السلام وعدهم بنفس الوعود وحصول الخيرات قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾(١).

وبالإستغفار ندب نوح قومه ورغبهم بكثرة الأمطار والأموال والأولاد فقال: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(٢).

وبالاستغفار دعا شعيب قومه لضمان عدم إهلاكهم قال تعالى﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(٣).

وللإستغفار دعا هود قومه ووعدهم بحصول الخيرات، فقال: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾(٤).

وبالإستغفار أعتذروا أولاد يعقوب من أبيهم وطلبوا أن يستغفر لهم قال تعالى ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٥).

والإستغفار ملازم للتقوى وتابع لها قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾(٦).

---

١ - هود (٥٢،٦١).
٢ - نوح (١٠، ١١، ١٢).
٣ - هود (٩٠).
٤ - هود (٥٢).
٥ - يوسف (٩٧، ٩٨)
٦ - فصلت (٦).

وبالإستغفار تلطف الخالق سبحانه وتعالى للنصارى عندما قالوا قولتهم الشنيعة إن الله ثالث ثلاثة قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

وبالإستغفار زاد داود زلفى من ربه وحسن مآب قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾(٢) .

وبالإستغفار وعد إبراهيم الخليل أباه لينجيه من النار فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه وضرب مثلاً صريحًا في البراءة من المشركين، قال تعالى ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾(٣) .

وبالإستغفار تغفر الذنوب وتمحى الفواحش والآثام وتحل الرحمات قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٥) .

وبالإستغفار يحصل للإنسان المتاع الحسن في الدنيا بكل معاني هذه الكلمات من التمتع بكل ما يسمى حسنًا من أمتعة الدنيا المشروعة قال تعالى ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(٦) .

---

١ - المائدة (٢٤ ، ٢٥).
٢ - ص (٢٤ ، ٢٥).
٣ - مريم (٤٧).
٤ - النساء (٦٤).
٥ - النساء (١١٠).
٦ - هود (٣).

وبالإستغفار تدعوا الملائكة وأكبر الملائكة وأفضلهم عند الله وهم حملة العرش، يستغفرون للذين آمنوا، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾(١) .

وبالإستغفار تلهج ألسنة المتقين وعباد الله الصالحين، آناء الليل وأطراف النهار وعند هجعة العيون ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٢)

والإستغفار صفة رئيسية للراسخين في العلم والإيمان وقد عَد الله لنا خمس صفات في أولئك القوم ومنها الإستغفار في أفضل الأوقات للمناجاة قال تعالى ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾(٣) .

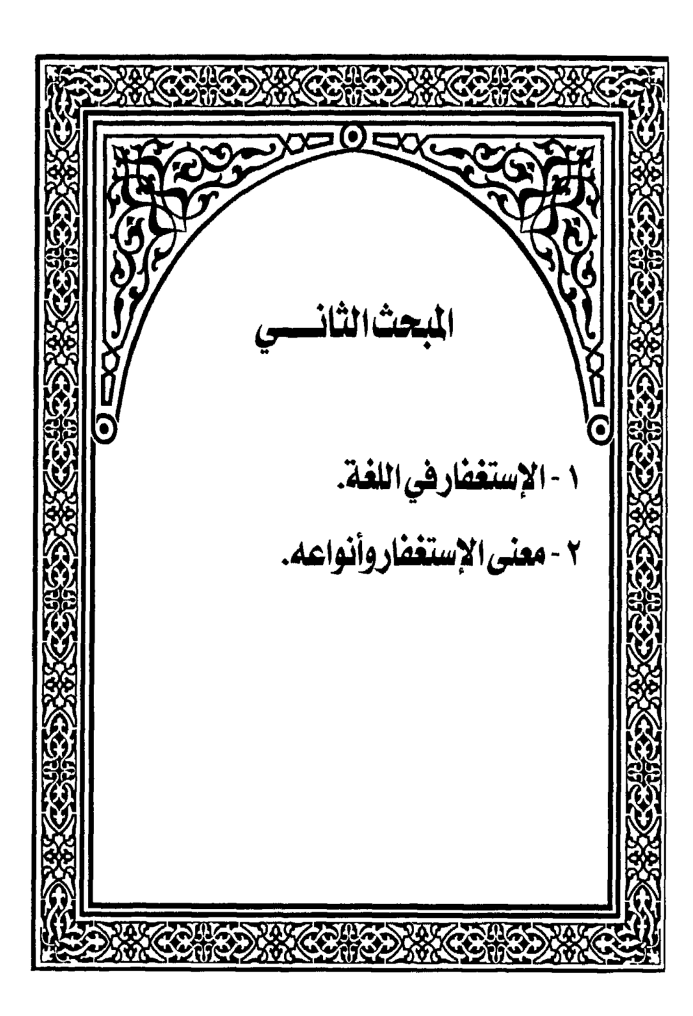
فالإستغفار ذو مكانة عظيمة في ديننا الإسلامي وشأن هام في جلب كل خير ودفع كل شر. قال ابن تيمية (٤): إذا أحب الله عبداً الهمه التوبة والإستغفار فلم يصر على الذنوب.

فالخالق سبحانه وتعالى يندبنا إستغفاره والتعرض لنفحات رحمته وطلب العفو منه وقد وعدنا بالمغفرة، فما لنا لا نستغفر وما الذي دهانا نعمل الذنوب ونقارف الفواحش والآثام ولا نستغفر إن حالنا حرِي بالإستغفار في كل وقت وحين وفي الصباح والمساء لأننا نذنب كل حين فاسماعنا تذنب وأبصارنا تذنب وقلوبنا وجوارحنا تذنب ودواء ذلك كله الإستغفار.

اللهم الهمنا رشدنا واستعملنا في طاعتك والهمنا الإستغفار الصادق وعلِّم قلوبنا والسنتنا إستغفارك في كل وقت وحين واجعلنا ممن يشملهم إستغفار الملائكة وتب علينا إنك آنت التواب الرحيم.

---

١ - غافر (٧).
٢ - الذاريات (١٥ - ١٨).
٣ - آل عمران (١٧).
٤ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.



المبحث الثاني

١ - الإستغفار في اللغة.

٢ - معنى الإستغفار وأنواعه.

الإستغفار في اللغة والشرع

إستغفر - إستغفاراً (غفر) الله الذنب ومن الذنب : طلب منه تعالى أن يغفره له[١] .

ومعنى (استغفر الله) تعبير : معناه : لا أبداً .[٢]

والإستغفار : إستفعال ، والسين فيه للطلب ، أي ، طلب المغفرة[٣] . ومن أسمائه سبحانه وتعالى . الغفار والغفور وهما من أبنية المبالغة ، ومعناهما : الساتر لذنوب عباده وعيوبهم ، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم[٤]

وأصل الغفر : التغطية ، يقال : غفر الله لك يغفر غفراً ، وغفراناً ، ومغفرة ، والمغفرة : إلباس الله سبحانه وتعالى العفو للمذنبين من عباده .[٥]

والذنب : هو الإثم والجمع ذنوب ، وجمع الجمع : ذنوبات ، وسُمي الذنب ذنباً لتوقع المؤاخذة عليه لترتبها على فعله ، ويشمل فعل كل محظور وترك كل واجب ومنها الإستغفار والغفران والمغفرة والتكفير متقاربة المعاني ، فالغفران والمغفرة مأخوذة من الغفر وهو الستر ، فكأنها ستر الذنوب أو وقاية شرها مع سترها ، ولهذا سُمي ما ستر الرأس ووقاه في الحرب مغفر ، ولا يسمى كل ساتر للرأس مغفراً[٦] .

والتكفير : محو أثر الذنب حتى كأنه لم يكن .

فالإستغفار : هو طلب المغفرة ، والمغفرة كما سبقت : هي وقاية شر الذنوب مع سترها ، وإذا قرن الإستغفار بذكر التوبة ، فيكون الإستغفار طلب المغفرة باللسان والتوبة : عبارة عن الإقلاع من الذنوب بالقلوب والجوارح .[٧]

---

١ ، ٢ - المنجد الأبجدي .

٥,٤,٣ - نتائج الأفكار في شرح سيد الاستغفار .

٦ ، ٧ - جامع العلوم والحكم .

معنى الإستغفار وأنواعه

الإستغفار :هو طلب المغفرة، والمغفرة : هي وقاية شر الذنوب مع سترها .[1] وإذا قُرن الإستغفار بذكر التوبة، فيكون الإستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع من الذنوب بالقلوب والجوارح، وإذا أفرد الإستغفار ورتب عليه المغفرة، أريد به الإستغفار المقترن بالتوبة، وقيل إن نصوص الإستغفار كلها المفردة مطلقة تقيد بما ذكر في آية آل عمران من عدم الإصرار فإن الله وعد فيها بالمغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على فعله فتحمل النصوص المطلقة في الإستغفار كله على هذا المقيد.[2] في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «إن عبداً أذنب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي، قال الله تعالى: «علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا آخر فذكر مثل الأول مرتين آخرين وفي الثالثة قال غفرت لعبدي فليعمل ما شاء» والمعنى مادام على هذا الحال كلما أذنب استغفر، قال والظاهر[4] : أن مراده الإستغفار المقرون بعدم الإصرار.

وأما الإستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه وإن شاء رده[5] .

---

١ - المرجع السابق. ٢ - المرجع السابق.

٣ - آل عمران (١٣٥).

٤، ٥ - جامع العلوم والحكم.

وإذا قال القائل أستغفر الله معناه: أطلب مغفرته لقوله اللهم اغفر لي. وقال الثعالبي[١]: الإستغفار: هو طلب المغفرة باللسان وإنابة القلب وطلب الإسترشاد.

قال:[٢] الإستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة.

وأفضل الإستغفار: ما قرن به ترك الإصرار مع التوبة النصوح.

وافضل أنواع الإستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه ثم يثني بالإعتراف بذنبه ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد ابن أوس في حديث سيد الإستغفار «اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وآنا عبدك ..... الحديث).

قال ابن القيم رحمه الله ونور قبره[٣]: وأما الإستغفار فهو نوعان مفرد ومقرون بالتوبة.

فالمفرد: كقول نوح عليه السلام ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٤] وقول صالح ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٥].

والمقرون: كقول هود ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[٦] وقول شعيب ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[٧].

قال:[٨] فالإستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها. مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره لا كما ظنه بعض الناس: إنها الستر. فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له.

وهذا الإستغفار هو الذي يمنع العذاب كما في قوله «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فإن الله لا يعذب مستغفراً.

---

١ - الجواهر الحسان جـ٢ / ١٨٩.
٢ - جامع العلوم والحكم.
٣ - مدارج السالكين ج١ / ٣٣٣.
٤ - نوح (١٠).
٥ - النمل (٤٦).
٦، ٧ - هود (٥٢، ٩٠).
٨ - ابن القيم (مدارج السالكين) جـ١ / ٣٢٤.

وأما من أصر على الذنب وطلب من الله المغفرة فهذا ليس بإستغفار مطلق ولهذا لا يمنع العذاب. فالإستغفار يتضمن التوبة. والتوبة تتضمن الإستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

قال(١) : وأما عند إقتران اللفظتين بالآخرى. فالإستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة، هي الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين، فخصت التوبة بالرجوع والإستغفار بالمفارقة. وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين كما في قوله (استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) فإنه الرجوع الى طريق الحق بعد مفارقة الباطل. قال والإستغفار إزالة الضرر، والتوبة جلب المنفعة. فالمغفرة أن يقيه شر الذنب. والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية مع ما يحبه.

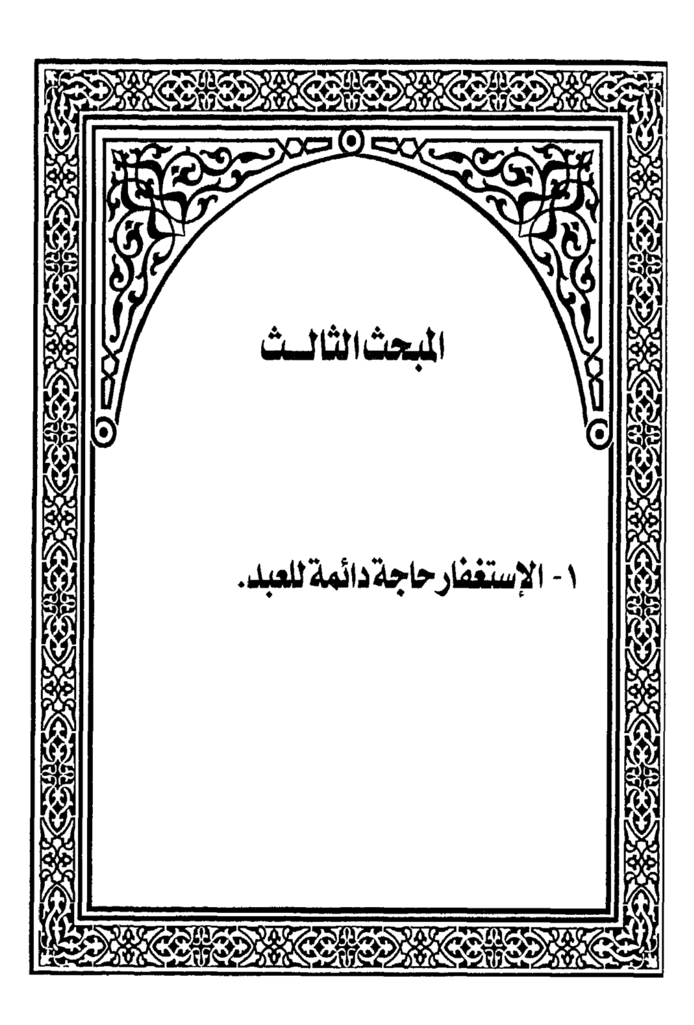
وقال الشيخ بن سعدي رحمه الله(٢) : في قوله تعالى «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»، قال: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله إستغفاراً تاماً، يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود، فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة فيغفر له ما صدر منه من الذنب ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة ويوفقه فيما يستقبله من عمره ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه لأنه قد غفره وإذا غفره، غفر ما يترتب عليه.

قلت: وما يقصده الشيخ في قوله هو الإستغفار المتضمن للتوبة وقد ادرج الشيخ التوبة في الإستغفار ولم يفرق بينهما وجعل قوله تعالى «ثم يستغفر الله» إستغفاراً حاصل منه التوبة لأنه ذكر شروط التوبة مجملة في قوله.

---

١ - المرجع السابق.

٢ - تيسير الكريم الرحمن جـ١ / ٤٤٦.



المبحث الثالث

١ - الإستغفار حاجة دائمة للعبد.

الإستغفار حاجة دائمة للعبد[1]

قال شيخ الإسلام احمد بن تيميه رحمه الله ونّور قبره :-

الإستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه الى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأولى الى الأعلى منه والأكمل.

فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج الى الإستغفار آناء الليل وأطراف النهار بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية.

وقد ثبتت : دائرة الإستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا اله الا الله من أولهم الى آخرهم ومن آخرهم الى أولهم ومن الأعلى الى الأدنى وشمول دائرة التوحيد والإستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم. فشهادة أن لا إله الا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره، سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والإستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك.

والتوحيد يذهب أصل الشرك والإستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول لا اله الا الله وأبلغ الدعاء قول : أستغفر الله. «فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك..».

فأمره بالتوحيد والإستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين.

---

١ - من رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال: التوبة من أعظم الحسنات، والحسنات كلها مشروط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره باتباع رسوله والإستغفار من اكبر الحسنات وبابه واسع فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبه فعليه بالتوحيد والإستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم والإستغفار. قال حذيفة بن اليمان للنبي ﷺ: إن لي لسانًا ذربًا على أهلي فقال له ﷺ «أين أنت من الإستغفار؟ إني لاستغفر الله في اليوم اكثر من سبعين مرة.

وقال ابن تيميه في موضع آخر ولهذا قيل تخليص الأعمال مما يفسدها أشد على العاملين من طول الإجتهاد وهذا يبين إحتياج الناس إلى التوبة ولهذا قيل: هي مقام يستصحبه العبد من آول ما يدخل فيه الى آخر عمره ولابد منه لجميع الخلق. فجميع الخلق عليهم أن يتوبوا وأن يستديموا التوبة، وغاية كل مؤمن التوبة وقد قال لأفضل الأنبياء وأفضل الخلق بعد الأنبياء وهم السابقون الأولون﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

ومن أواخر ما انزل الله قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين أنه كان يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم وبحمدك. اللهم اغفر لي يتأول القرآن».

والإنسان محتاج الى التوبة والإستغفار مطلقًا كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يستغفر عقب الصلاة ثلاثًا.

قال تعالى ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾(٢) .

---

١ - التوبة (١١٧). ٢ - آل عمران (١٧).

قاموا الليل ثم جلسوا وقت السحر يستغفرون.

وقد ختم الله سورة المزمل، وفيها قيام الليل بقوله﴿ واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

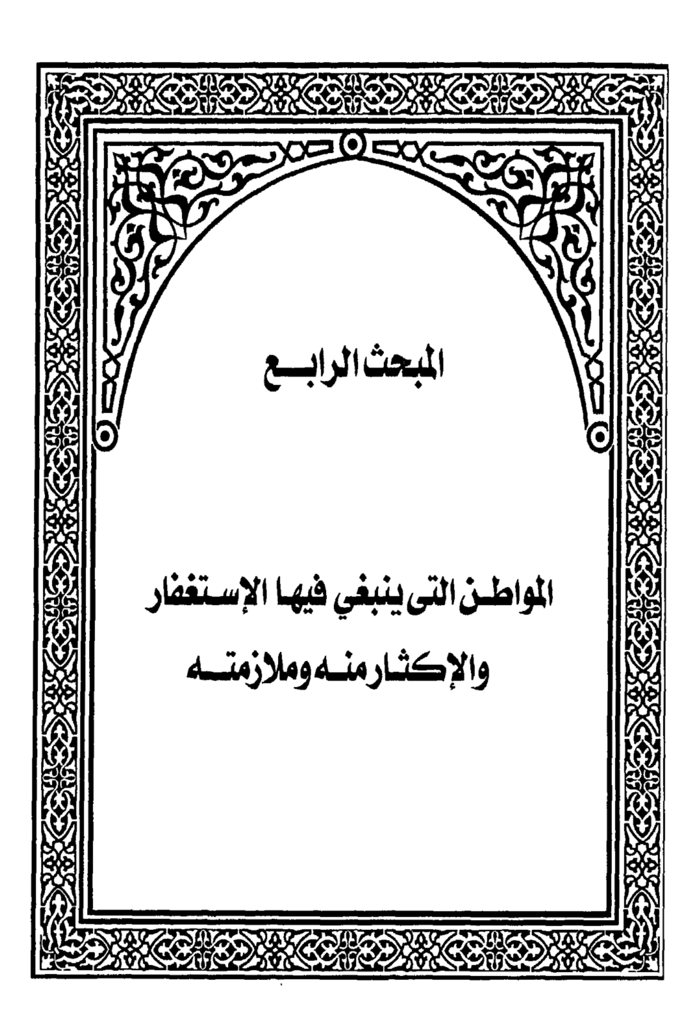
كما ختم سورة المدثر بقوله ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾(٢) .

فهو سبحانه أهل التقوى ولم يقل سبحانه أهل للتقوى فهو وحده أهل أن يتقى فيعبد دون سواه ولا يستحق غيره أن يتقى كما قال ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾(٣) . وهو أهل المغفرة ولا يغفر الذنوب غيره كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٤) .وفي غير حديث يقول النبي ﷺ «إنه لا يغفر الذنوب الا أنت» فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة. وقد جمع الله بين التوحيد والإستغفار في غير موضع كقوله سبحانه ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٥)

فالمؤمنون يستغفرون مما كانوا تاركيه قبل الإسلام من توحيد الله وعبادته وإن كان ذلك لم يأتهم به رسول الله بعد كما تقدم والرسول يستغفر من ترك ما كان تاركه كما قال فيه «ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» وإن كان ذلك لم يكن عليه عقاب والمؤمن إذا تبين له أنه ضيع حق قرابته أو غيره استغفر الله من ذلك وتاب وكذلك إذا تبين له أن بعض ما يفعله مذموم.

---

١ - المزمل (٢٠).   ٢ - المدثر (٥٦).
٣ - النحل (٥٢).   ٤ - آل عمران (١٣٥).
٥ - محمد (١٩).



المبحث الرابع

المواطن التى ينبغي فيها الإستغفار والإكثار منه وملازمته

أعلم أخي المسلم أنه ينبغي مداومة الإستغفار والإكثار منه في أكثر من خمسين موطنًا جمعتها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة

١ - بعد قضاء العبادات والفراغ منها لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

ولما رواه مسلم (أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثًا) .

٢ - يستحب الإكثار من الإستغفار في مواطن القبول ومساقط الرحمة ومظنات الإجابة وخاصة عند الإفاضة من عرفات لأنها وردت الأحاديث الصحيحة بنزول الرحمة عليهم وإجابة دعائهم والمباهاة بهم عند ملائكته .

وقد روى ابن جرير حديث ابن عباس في إستغفار نبى الأمة محمد ﷺ لامته عشية عرفة.(٢)

٣ - يستحب الإكثار من الإستغفار عندما يصدر من المسلم أو الجماعة المسلمة تقصير في حق الرسول ﷺ او حق الله سبحانه وتعالى مثل الذي حدث من مخالفة الرماة في أحد ، لامر الرسول وترك أماكنهم فانقلب الوضع وشج رأس رسول الله ﷺ واثخن الجراح كثير من الصحابة رضي الله عنهم فصدر الأمر الإلهي ونزل الوحي إلى النبي بقوله تعالى «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر» فعفا عنهم ﷺ وإستغفر لهم مما بدر منهم من تقصير في حقه ﷺ وحق الله سبحانه وتعالى. وقد جمعت هذه الآية بين العفو والإحسان ، فالعفو مسامحته ﷺ لهم لمخالفتهم أمره والإحسان هو الإستغفار لهم وهكذا حتى بعد وفاته ﷺ يجب أن نكثر من الإستغفار عندما يصدر منا نقص وتقصير في حقه ﷺ من رفع الصوت عند قبره أو عدم المنافحة عن سنته أو عدم إتباعها أو التقصير فيها أو عصيانه في أي أمر من أوامره، ونستغفر الله ونتوب اليه عما بدر ويبدر منا من نقص .

---

١ -البقرة (١٩٩).
٢ - تفسير ابن كثير جـ١ / ٢١٢.

٤- ينبغي بل يجب أن يكثر من الإستغفار ممن خاصم بالباطل أو دافع عن باطل لأن هذا ذنب ولا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم ويتأكد أنه محق وعلى حق. لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١) .

٥- ينبغي الإكثار من الإستغفار عند القيام من مجلس الخصام والمقاضاة خاصة وعند القيام من كل مجلس أي كان وذكر كفارة المجلس عند القيام المشتملة على الإستغفار. عن ابي هريرة قال قال ﷺ : (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما.

٦- ينبغي للحاكم أو القاضي بين الخصمين الإكثار من الإستغفار لانه يحدث خصام للخائنين أو لأجل الخائنين وخاصة بعد صدور الحكم مهما كان، لأن القاضي ربما يحكم بالحق لغير صاحبه لأن الآخر الحن بحجته (فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها . . .) الحديث .ولقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢) .

٧- يستحب الإكثار من الإستغفار عند حبس المطر وتأخر نزوله، ويكون الإستغفار باللسان قولا وبالقلب إعتقاداً وبالجوارح عملا ومن لوازم الإستغفار الصحيح الخروج من المظالم وإعطاء الحقوق لاهلها وردها لأصحابها قال تعالى «وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً. وقوله تعالى «فقلت إستغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً» .

١ - النساء (١٠٥ ، ١٠٦).

٢ - المرجع السابق.

٨- يستحب الإكثار من الإستغفار عند ضعف الجسم وهزال قوته والشعور بالكسل وعند طلب المعونة من الله في أي أمر من الأمور، فالإستغفار يجلب القوة ويبدد الضعف ويجعل للإنسان سلطانًا وحجة قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[(١)]

٩- يجب الإستغفار والتوبة من الشرك الأكبر والأصغر وعندما يكون من أمة يكون أوجب كما حدث من أمة هود لقوله تعالى ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ.... ﴾[(٢)]

١٠- يجب الإستغفار والإكثار منه عندما تصر أي أمة على الذنب أيٌ كان ذلك الذنب لتأمن العقوبة الجماعية لقوله تعالى «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير»[(٣)]

١١- يستحب الإكثار من الإستغفار والتوبة عند التمكين في الأرض والإستعمار فيها وإغداق النعم الظاهرة والباطنة وإقران الإستغفار بالحمد والشكر فالحمد والشكر للإعطاء والإستغفار من قلة شكر هذه النعم، قال تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[(٤)] .

١٢- يستحب الإستغفار والتوبة عند حصول العداوة والشقاق والبغض للأنبياء أو الناس وفي حق الأنبياء أعظم والإستغفار أوجب، قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ... ﴾[(٥)]

١، ٢، ٣، ٤، ٥ - هود (٥٢، ٢، ٣، ٣، ٦١).

١٣- يجب الإستغفار عند الإصرار على المعصية والخطأ.

١٤- يستحب الإستغفار والإكثار منه عند تذكر مصارع الأمم السابقة التى عصت رسل ربها وخاصة عند المرور بجانب أماكن ومصارع تلك الأمم كقوم هود وصالح ولوط........ وغيرهم. وقد أمر رسول الله ﷺ جيشه بالبكاء أو التباكي والإستغفار عند المرور بقوم صالح عندما قفلوا راجعين من تبوك.

ولقوله تعالى «وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد. واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه...»[١]

١٥- يشرع الإستغفار والدعاء والصدقة والصلاة عند خسوف القمر وكسوف الشمس فهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوف الله بهما عباده وقد قال النبي ﷺ «... إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»[٢].

١٦- يشرع الإستغفار عند التقلب على الفراش ليلا كما في حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال «من تعار الليل فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.... ثم قال اللّهم اغفر لي - أودعا - استجيب فإن توضأ قبلت صلاته»[٣].

١٧- عند القيام من الليل للتهجد يشرع الإستغفار كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال «اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ...... الى أن قال فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت»[٤]

---

١ - هود (٨٩، ٩٠).

٢ - البخاري جـ٢ / ٥٤٥ ومسلم جـ٦ / ٢١٤.

٣ - احمد جـ٦ / ١٥٥ بإسناد حسن.

٤ - البخاري جـ٣ / ومسلم جـ٦.

١٨ - يشرع الإستغفار عند الخروج من الخلاء لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال (غفرانك) .

١٩ - يشرع الإستغفار والإكثار منه عند آخر العمر وفي أيامه الأخيرة في الحياة لأن النبي ﷺ بعد أن نزلت عليه سورة النصر كان يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللّهم اغفر لي»(١) وقال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٢) قال اخبرني ربي أني سأري علامة في أمتى فإذا رأيتها قلت : سبحانك اللهم وبحمدك إستغفرك وأتوب اليك .

٢٠ - يشرع الإستغفار وقت السحر بل أن هذا الوقت من الأوقات الفاضلة التى مدح الله أهلها بقوله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(٣) وقال سبحانه ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٤)

ولقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي قال «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث اليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطية من يستغفرني فأغفر له»(٥) .

فهذا الوقت مبارك وفيه تكون النفس صافية والقلب شفاف ولذلك يكون الإستغفار صادقًا فيكون حرّي بالإجابة وهذا الوقت لا يكابده الا الصادقين من المؤمنين نسأل الله من فضله .

٢١ - يشرع الإستغفار عند الهمّ بعمل المعصية وإن لم يفعلها الإنسان ، لقوله تعالى ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(٦) . فأمر

---

١ - الصحيحين واللفظ للبخاري جـ٧ / ٤٦٩ .
٢ - النصر (١ - ٣) .
٣ - آل عمران (١٧) .
٤ - الذاريات (١٨) .
٥ - البخاري جـ١١ / ومسلم جـ٦ .
٦ - يوسف - (٢٩) .

العزيز زوجته بالإستغفار والتوبة لذنبها وأمر يوسف بالإعراض وكتمان الأمر وعدم إشاعته حفاظًا على الظواهر.

٢٢- يشرع الإستغفار عند الفراغ من الوضوء للحديث الذي خرجه النسائي في عمل اليوم والليلة «سبحانك اللّهم وبحمدك» أشهد أن لا إله الا أنت استغفرك وأتوب إليك»[١] .

٢٣- يشرع الإستغفار عند الإستفتاح للصلاة لقوله ﷺ : «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللّهم أنت الملك لا اله الا أنت . أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا آنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك أنا بك واليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[٢] .

٢٤- بعد الفراغ من الصلاة وأول ذكر يقال بعد السلام هو استغفر الله ثلاثًا لفعله ﷺ أنه كان يقول إذا فرغ من الصلاة «أستغفر الله - استغفر الله - استغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام»[٣] .

٢٥- يشرع الإستغفار في دعاء القنوت للحديث الموقوف على عمر «اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق، اللّهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع من يكفرك»[٤] .

---

١ - النسائي ١٧٣ .

٢ - مسلم جـ١ / ٥٣٤ .

٣ - مسلم جـ١ / ٤١٤ .

٤ - البيهقي وقال الألباني إسناده صحيح .

٢٦- عند إصابة الذنب والتلطخ بأوحال المعصية لقوله ﷺ : (مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له»(١).

٢٧- يستحب الإستغفار والإكثار منه عند الخوف من الشرك او الوقوع فيه لقوله ﷺ : «اللّهم إني أعوذ بك أنَ أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»(٢).

٢٨- يشرع الإستغفار عند الفرار من الزحف والتولي عند قتال المشركين والكفار لقوله ﷺ «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه، غفر الله له وإن كان فر من الزحف»(٣).

٢٩- يشرع الإستغفار عند الإستيقاظ من النوم ليلا لحديث عائشة قالت «إن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال : لا اله الا أنت سبحانك اللّهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، اللّهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»(٤).

٣٠- يشرع الإستغفار عند القيام الى الصلاة لحديث أم رافع رضي الله عنها أنها قالت «يارسول الله دلني على عمل يأجرني الله عز وجل عليه ؟ قال : يا أم رافع إذا قمت الى الصلاة فسبحي الله تعالى عشراً وهلليه عشراً واحمديه عشراً وكبريه عشراً واستغفريه عشراً فإنك إذا سبحت قال هذا لي، وإذا هللت قال : هذا لي، وإذا حمدت قال هذا لي وإذا كبرت قال هذا لي وإذا استغفرت قال : قد فعلت»(٥).

٣١- يشرع الإستغفار والإكثار منه للميت بعد دفنه للحديث الذي خرجه ابو داود والبيهقي بإسناد حسن عن عثمان رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وأسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل».

---

١ - أبو داود جـ٢ / والترمذي جـ٢ وصححه الألباني.

٢ - المسند جـ٤ / (٤٠٣) والترغيب والترهيب جـ١ / ١٩.

٣ - أبو داود جـ٢ / والترمذي جـ٥ وصححه الألباني.

٤ ، ٥ - الأذكار للنووي.

٣٢- يستحب الإستغفار عند رؤية الهزيمة في المسلمين قال النووي باب ما يقول إذا رأى هزيمة في المسلمين والعياذ بالله الكريم قال يستحب أن يفزع إلى ذكر الله تعالى واستغفاره ودعائه واستنجاز ما وعد المؤمنين من نصرهم وإظهار دينه وأن يدعوا بدعاء الكرب، ويستحب أن يدعوا بغيره من الدعوات وقد صح أن رسول الله ﷺ لما رأى هزيمة المسلمين نزل واستنصر ودعا وإن عاقبة ذلك النصر، وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال عمي أنس بن النضر: اللّهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين - ثم تقدم فقاتل حتى استشهد، فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة طعنة برمح أو رمية بسهم[١].

٣٣- يشرع الاستغفار والإكثار منه لمن استقر عزمه على السفر، يستغفر من جميع الذنوب والمخالفات ويطلب من الله المعونة على سفره ويشرع له تحصيل أمور عديدة ليس هذا مجال البسط فيها. لحديث أنس رضي الله عنه قال «جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إني أريد سفراً فزودني قال: زودك الله التقوى، قال: زدني قال: غفر ذنبك، قال زدني قال: ويسر لك الخير حيثما كنت» قال الترمذي حديث حسن.

٣٤- يشرع الإستغفار عند تلاقي المسلم مع أخيه المسلم لحديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما»

وفي رواية لابن السني «إذا التقي المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما».

٣٥- يشرع الإستغفار ويطلب من الرجل الصالح كما فعل أولاد يعقوب عندما طلبوا أبيهم أن يستغفر لهم. قال تعالى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

١ - المرجع السابق.　　٢ - يوسف (٩٧، ٩٨).

وكما فعل الفاروق رضي الله عنه عندما طلب من أويس القرني أن يستغفر له ففعل.

٣٦- ينبغي الإستغفار وملازمته عند تعجل النصر وإستبطاءه وضعف الصبر على تحمل طباع الناس وأخلاقهم وتصرفاتهم وضعف الصبر على النفس وميولها وقلقها وتطلعها ورغبتها في النصر القريب. قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(١).

٣٧- يشرع الإستغفار عند خطبة الحاجة لقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة «الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا....»(٢).

٣٨- يشرع الإستغفار عند الميل عن الإستقامة أو الضعف أثناء السير في طريق الحق والإستقامة، لقوله تعالى «فاستقيموا إليه واستغفروه».

٣٩- يشرع الإستغفار عند عدم القيام بحق الدعوة والضعف في تحمل واجباتها وتكاليفها وعدم الصبر على المدعوين، لقوله تعالى «فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين».

٤٠- ينبغي الإكثار من الإستغفار عندما يعلم الإنسان من نفسه عيب جلي وفي هذه الحالة يجب الإستغفار والتوبة والتضرع والإستكانة لله سبحانه وتعالى لقوله «وابوءُ بذنبي إليك فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب الا أنت».

٤١- يستحب الإستغفار والإكثار منه عند رسوخ العلم الرباني في القلب ورسوخ الإيمان والتوحيد في قلب العبد، فزيادة العلم تقرب الي الله وهذا يجعل العبد كثير الرقابة لنفسه وأعماله واقواله وهذا يستوجب كثرة الإستغفار من الزلل والتقصير،

---

١ -غافر (٥٥). ٢ - الأذكار للنووي (٢٤١).

والعلم والإستغفار قرينان فالعلم يتبعه الإستغفار قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾(١) .

٤٢ - يجب ملازمة التوبة والإستغفار والإكثار منه عند حصول النفاق العملي وعندما يعلم الإنسان من نفسه خصلة من خصال النفاق حتى يدعها .

٤٣ - يجب التوبة والإستغفار عند التقصير في طاعة الرسول الله ﷺ حيًا وميتًا وعند الضعف في الذب عن سنته واتباعها والإقتداء بها .

٤٤ - يشرع الإستغفار والإكثار منه ومداومته في كل وقت وحين عند انقطاع الغيث وتأخر سقوط المطر وعند إمتناع مجيء الولد (الذرية) بأمر الله وعند جفاف الأرض وقحطها وغور الماء وبعده في الأرض وعند حصول الهلاك في المال والثمار لقوله تعالى ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⦗١٠⦘ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⦗١١⦘ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(٢) .

٤٥ - ينبغي الإستغفار وملازمته عند تحقق النصر للمسلمين على أعدائهم حتى لا تشعر النفس بالزهو والعجب، والاستغفار عند النصر، والفتح هو تسليم وشعور من النفس بالتقصير ونسب النصر لله وحده. قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ⦗١⦘ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ⦗٢⦘ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٣).

وهذا خطاب لرسول ﷺ ولأمته القدوة الحسنة فيه وهذا ما عمل به خلفاؤه الراشدين من بعده والفاتحين العظماء من بعدهم .

٤٦ - ينبغي الإستغفار والدعاء بالرحمة والغفران في سويعات الحياة الأخيرة ولحظات الدنيا المتبقية وثواني الغرغرة، عند آخر العمر وفي نهايته ليختم بالعمل

---

١ - محمد (١٩).　٢ - نوح (١٠، ١١، ١٢).　٣ - النصر (١ - ٣).

الصالح وليختم بخير للإنسان فعن عبدالله بن الزبير أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إليّ ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى»(١).

٤٧- ينبغي التوبة والإستغفار عند ظلم النفس بالمعاصي أو النفاق أو ترك أوامر الله وعدم اجتناب نواهي الله لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٢) . وعند عمل السوء مهما كان وفي حق النفس لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣)

٤٨- يجب التوبة والإستغفار عند التلفظ بكلمات كفرية، أو خروج كلمات سخرية وسفه في حق الله سبحانه وتعالى أو رسوله أو آياته أو ما يتعلق بالدين، لأن هذه الكلمات كفر بالله تعالى كما قال بعض النصارى إن الله ثالث ثلاثة ومع هذا الجرم الشنيع والكفر البواح إلا أن الله يتلطف لهم بأحسن عبارة والطف إشارة في قوله ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) . وهذا من كرم الله ولطفه وسعة رحمته، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

٤٩- ينبغي الإستغفار والتوبة والمسارعة الى ذلك عند الجدال بالباطل لإدحاض الحق وغلبته وأهله وعند اتخاذ آيات الله ونذره هزوءاً وإستهزاء، عند ذلك يجب المسارعة إلى الإيمان والهدى فالإستغفار يمنع العذاب ويجلب الهداية.

---

١ - رواه البخاري مرفوعاً.
٢ - النساء (٦٤).
٣ - النساء (١١٠).
٤ - المائدة (٧٣، ٧٤).

قال تعالى ﴿ وما منع النّاس أن يُؤمنوا إذ جاءهُمُ الْهُدىٰ ويستغفرُوا ربّهُم إلاّ أن تأتيهُمْ سُنّةُ الأوّلين أوْ يأتيهُمُ العذابُ قُبُلا ۝ وما نُرْسلُ الْمُرْسلين إلاّ مُبشّرين ومُنذرين ويُجادلُ الّذين كفرُوا بالْباطل ليُدْحضُوا به الْحقّ واتّخذُوا آياتي وما أُنذرُوا هُزُوا ﴾[1] .

قال الشوكاني[2] : وزاد الإستغفار في هذه السورة لانه قد ذكر هنا مافرط منهم من الذنوب التى من جملتها جدالهم بالباطل .

٥٠- ينبغي الإستغفار والدعاء والمسارعة الى التوبة عندما يتخاصم إثنان ويطلب من أي شخص القضاء بينهما فيسرع بالحكم ولا يسمع من الخصمين ، وتكون التوبة والإستغفار أوجب في حق القاضي أو الامير أو المسؤول الذي يتعجل في حكمه ولا يتريث ولا يسمع من الطرفين ، فهذا نبي الله داوود عليه السلام جمع الله له النبوة والخلافة في الأرض ولكنه عاتبه على الإسراع في الحكم بين الخصمين فاستغفر داوود ربه وسجد لله تائبا خاشعا مستغفرا قال تعالى ﴿ قال لقدْ ظلمك بسُؤال نعْجتك إلىٰ نعاجه وإنّ كثيرا من الْخُلطاء ليبْغي بعْضُهُمْ علىٰ بعْض إلاّ الّذين آمنُوا وعملُوا الصّالحات وقليلٌ مّا هُمْ وظنّ داوُودُ أنّما فتنّاهُ فاسْتغْفر ربّهُ وخرّ راكعا وأناب ﴾[3] .

٥١- ينبغي الإستغفار والإكثار منه عند النساء وقد أمرهم ﷺ بالإكثار نصا من الإستغفار حتى يحجبهن عن النار . ويفهم من الحديث أن الإستغفار والصدقة تنجي من النار وخص الأمر للنساء لأنهن أكثر أهل النار ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار . . . . .» رواه مسلم .

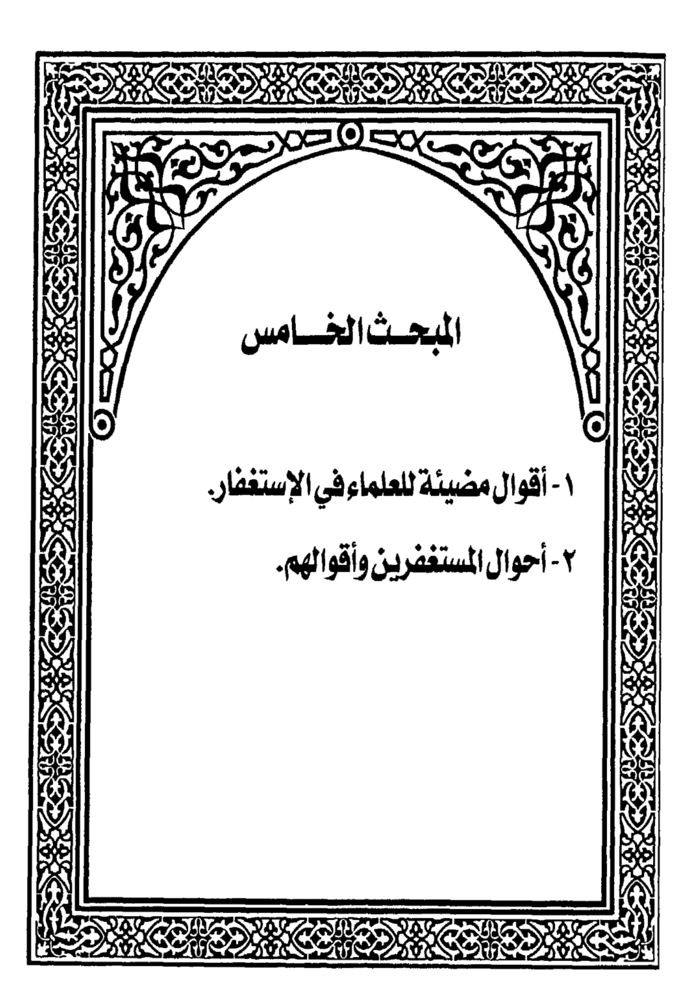
---

١ - الكهف (٥٥ ، ٥٦) .
٢ - فتح القدير جـ٣ / ٢٩٥ .
٣ - ص (٢٤) .

٥٢- ينبغي الإستغفار عند الجلوس في حلق الذكر ودروس العلم لأن هناك ملائكة تتَبع حلقات الذكر وتحضر دروس العلم وتستمع وتدعوا لأصحابها بالمغفرة، وحديث ابي هريرة إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر ..... الى أن قال (قالوا يستغفرونك، فيقول قد غفرت لهم». فحلق الذكر موطن للإستغفار والمغفرة في آن واحد وهذا من فضل الله ورحمته.

٥٣- ينبغي الإستغفار للوالدين وخاصة بعد مماتهما وفي حياتهما لأن الإستغفار يبلغهما درجة عالية ويرفع من حسناتهم، روى الأمام أحمد بإسناد صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك».

٥٤ - يستحب الإستغفار والإكثار منه عند سماع خطبة الجمعة وخطبة العيدين، وليلة عيد الفطر، وبعد إخراج زكاة الفطر، ويوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى، وعند الطواف والسعي وفي أيام التشريق وبعد رمي الجمار وبعد قضاء العبادات عامة، وعند تعقد المشاكل وحصول الشقاق ونزول المصائب وقبل لقاء السلطان وعند كثرة النسيان وبعد اللهو واللعب، وعند نسيان آيات القرآن....



المبحث الخامس

١ - أقوال مضيئة للعلماء في الإستغفار.

٢ - أحوال المستغفرين وأقوالهم.

أقوال مضيئة للعلماء في الاستغفار وأحوال المستغفرين

قال الحسن[١] :-أكثروا من الإستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة إستغفاره تصحح توبته فهو كاذب في إستغفاره[٢]. قال بعضهم[٣] :

استغفر الله من استغفر الله ... من لفظة بدرت خالفت معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد ... سددت بالذنب عند الله مجراها

كان محمد بن سوقه يقول في إستغفاره: إستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله توبة نصوحا[٤] .

سئل الأوزاعي عن الإستغفار بقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب إليه، فقال إن هذا لحسن ولكن يقول: رب اغفر لي حتى يتم الإستغفار[٥] .

وعن خباب بن الأرت قال: قلت يارسول الله كيف نستغفر قال: قل اللّهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم[٦] .

قال ابو هريرة رضي الله عنه: إني أستغفر الله وأتوب إليه كل يوم الف مرة، وذلك على قدر ديتي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: طوبي لمن وجد في صحيفته إستغفاراً كثيراً.

قال ابو المنهال: ما جاور عبد في قبره من جار، أحب إليه من إستغفار كثير.

وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالإستغفار.

---

١ - إلى ٦ - جامع العلوم والحكم. ابن رجب.

قال بعضهم: إنما معول المذنبين البكاء والإستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الإستغفار.

وكان عمر رضي الله عنه يطلب من الصبيان الإستغفار ويقول إنكم لم تذنبوا.

وكان ابو هريرة يطلب من الغلمان أن يقولوا اللّهم اغفر لابي هريرة .ويؤمن على دعائهم.

قال الإمام الشافعي عند موته:

لما قسى قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرجاء منى لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظم

روي عن لقمان أنه قال لابنه: يابني عَود لسانك اللّهم اغفر لي فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا.

وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه: ما ألهم الله سبحانه عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذبه.

وقد سمع بعض الناس أعرابيًا وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن إستغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين.

جاء رجل الى الحسن البصري فشكى إليه الجدب فقال له: إستغفر الله وجاءه آخر يشكى إليه الفقر فقال له إستغفر الله، وجاءه آخر يشكي اليه جفاف بستانه فقال له إستغفر الله وجاءه رابع يشكى العقم وقلة الذرية فقال له إستغفر الله ثم تلا قوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[1] فالأمراض متعددة والدواء واحد.

---

١ - نوح (١٠ - ١١).

قال ابن حجر[١] : إن من شروط قبول الإستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب وإلا فالإستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب.

سُئل ابن الجوزي: أأسبح أو أستغفر: قال: الثوب الوسخ أحوج الى الصابون من البخور: أي شبه الإستغفار بالصابون الذي يطهر الثوب ثم بعد التطير يبخر بالبخور وهو التسبيح.

قال ابن تيميه رحمه الله تعالى ونور قبره[٢] : فليس لأحد أن يظن استغناؤه عن التوبة الى الله والإستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج الى ذلك دائماً، والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب قال تعالى «فاصبر إن وعد الله حق وإستغفر لذنبك» فأمره بالصبر على المصائب والإستغفار من المعائب.

والمذنب إذا إستغفر ربه من ذنبه فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين كآدم وغيره.

قال [٣]: وقد قرن الله في كتابه بين التوحيد والإستغفار في غير موضع كقوله تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٤].

وكقوله ﴿ أن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[٥] .

وفي حديث رواه ابن ابي عاصم وغيره «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بالإستغفار وبلا اله الا الله. فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»[٦] .

١ - فتح الباري جـ١١ / ٩٩.
٢ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
٣ - الحسنة والسيئة. ابن تيمية.
٤ - محمد (١٩).
٥ - هود (٢).
٦ - قال الألباني: إسناده موضوع.

وأفضل هذه الأمة وخيرها بعد نبيها ﷺ ابوبكر رضي الله عنه قال يارسول الله علمني دعاء أدعوا به في صلاتي قال «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

وعمر الفاروق رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ «إستغفر لي يارسول الله».

قال الوليد: قلت للأوزاعي كيف الإستغفار قال: تقول أستغفر الله أستغفر الله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن خير التابعين رجل يقال له: أويس و كان به بياض فمروه فليستغفر لكم» رواه مسلم.

وفي رواية أخرى «فمن لقيه منكم فليستغفر لكم».

وقال عمر لأويس: استغفر لي، فاستغفر له.

قال حذيفة بن اليمان للنبي ﷺ إن لي لساناً ذرباً على أهلي فقال له ﷺ «أين أنت من الإستغفار؟ إني لاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت[1] : «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك. قالت: فقلت له: يارسول الله: أراك تكثر من قولك سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك، فقال اخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وقد رأيتها ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ (١) ورأيتَ النَّاسَ يَدخُلُونَ في دينِ اللهِ أفوَاجًا (٢) فسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ واستغفِرهُ إنَّهُ كانَ توَّابًا﴾[2].

قال الإمام النووي رحمه الله عندما بوب لكتاب الإستغفار[3] : إعلم أن هذا الكتاب من أهم الأبواب التي يعتنى بها ويحافظ على العمل به. وقصدت بتأخيره التفاؤل بأن يختم الله الكريم لنا به» نسأله ذلك.... انتهى.

---

١ - رواه مسلم. ٢ - النصر (١ - ٣). ٣ - الأذكار للنووي.

ومن أحسن ما جاء عن السلف في الدعاء والإستغفار عند الإستسقاء، ما حكي عن الأوزاعي رحمه الله قال: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يامعشر من حضر، ألستم مقرين بالإساءة؟ قالوا: بلى فقال: اللهم إنا سمعناك تقول «ما على المحسنين من سبيل» وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فَسقوا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «أُمرنا أن نستغفر بالليل سبعين إستغفارة».[1]

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال «الغيبة تخرق الصوم والإستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل.

قيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال: أمزقه بالمعاصي وأرقعه بالإستغفار.[2]

وقيل: الإستغفار للذنوب كالصابون لإزالة الوسخ.

قال الأمام ابن القيم: قلت لشيخ الإسلام ابن تيميه قدس الله روحه يومًا: سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد، التسبيح أو الإستغفار فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. ثم قال لي فكيف والثياب لا تزال دنسة.[3] قلت وهذا والله من تواضعه رحمه الله.

وورد عن بعض العلماء العاملين أنه قال: دعوت الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحًا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله، حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت الى الآن فرأيت فيما يرى النائم قائلا: يقول لي أتعجب من ذلك. أتدري ماذا تسأل الله تعالى؟ إنما تسأله منذ ثلاثين سنة أن يحبك أما سمعت قول الله تعالى «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»[4]

---

١ - الكلم الطيب، ابن تيمية.

٢ - إلى ٤ - غذاء الألباب شرح منظومة الآداب جـ٢. الأمام السفاريني.

وقال ابو موسى رضي الله عنه في قوله تعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون». قال في هذه الآية «كان لنا أمانان من العذاب ذهب أحدهما وبقي الآخر»[1] . وعن ابن عباس قوله في هذه الآية (كان فيهم أمانان النبي ﷺ والإستغفار، ذهب النبي وبقي الإستغفار)[2] .

ويروى أنه كان في زمن الحسن البصري شاباً لا يُرى الا وحيداً منفرداً عن الناس، فسأله الحسن عن سبب ذلك فقال: إني أجدني بين نعمة من الله وذنب مني فأريد أن أحدث للنعمة شكراً وللذنب إستغفاراً، فذلك الذي شغلني عن الناس وجعلني منفرداً فقال له: أنت أفقه من الحسن.

وقال الحسن في قوله تعالى «وبالإسحار هم يستغفرون» قال: مدوا الصلاة الى السحر ثم جلسوا يستغفرون ربهم.

والمكثر من الطاعات والعبادة دائم التوبة والإستغفار وفي هذا يقول ابن القيم عند قول المتوضيء بعد وضوئه «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» قال: فهذه توبة بعد الوضوء وتوبة بعد الحج وتوبة بعد الصلاة وتوبة بعد قيام الليل، فصاحب هذا المقام مضطراً إلى التوبة والإستغفار فهو لا يزال مستغفراً تائباً وكلما كثرت طاعاته كثرت توبته وإستغفاره.

وكثرة الإستغفار والتوبة ترفعه منزلة عظيمة، قيل في بعض الآثار قال الله تعالى لداود عليه السلام، ياداود كنت تدخل علي دخول الملوك على الملوك واليوم تدخل علّي دخول العبيد على الملوك، قالوا وكان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة والإستغفار قالوا: ولهذا قال الله سبحانه «فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب» فزاده على المغفرة آمرين، الزلفى: وهي درجة القرب. وحسن المآب: وهوحسن المنقلب وطيب المأوى عند الله.

---

١ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٢٨٠.

٢ - المرجع السابق.

والإستغفار عرف قدره العلماء والخائفون واستأنس به المستوحشون وشرح صدر العارفين، قال ابن تيمية رحمه الله (١) : (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل علي، فاستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح صدري وينحل إشكال ما أشكل علي، وقد اكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والإستغفار الا أن أنال مطلوبي.

قال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله(٢) : أعمال بني آدم ترفع فإذا رفعت صحيفة وفيها إستغفار رفعت بيضاء. وإذا رفعت صحيفة ليس فيها إستغفار رفعت سوداء.

وخرج عمر بن عبدالعزيز يوم الجمعة وهو ناحل الجسم فخطب كما كان يخطب ثم قال(٣) : أيها الناس من أحسن منكم فليحمد الله ومن أساء فليستغفر الله ثم إن عاد فليستغفر الله ثم إن عاد فليستغفر الله فإنه لا بد لاقوام أن يعملوا أعمالا وضعها الله في رقابهم وكتبها عليهم.

قال ابن القيم كلاماً نفيساً حول الإستغفار ومما قاله(٤) : المسلم إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر. وهذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبداً فإن العبد دائماً يتقلب بين هذه الأطباق الثلاثة. قال وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالإستغفار والذكر فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه وصدؤه بحسب غفلته.

قال الشيخ السعدى رحمه الله (٥): في الأمر بالإستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة فائدة كبيرة وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به إما أن لا يفعله

(١، ٢) ذم الهوى. ابن الجوزي.

٣ - حُسن الظن بالله. ابن أبي الدنيا.

٤ - الوابل الصيب من الكلم الطيب.

٥ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٣٢٢.

أصلا أو يفعله على وجه ناقص فأمر بترقيع النقص في تلك الأعمال بالإستغفار فإن العبد يذنب آناء الليل وأطراف النهار فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته فإنه هالك. وهذا القول الذي ذكره في تفسير آية المزمل بعد الحث على قراءة القرآن والجهاد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة قال تعالى «واستغفروا الله إن الله غفور رحيم». وينبغي للعاقل المبادرة الى تحصيل الخيرات قبل هجوم صولة الممات، قال الباجي[1] : قالت بنت الربيع بن خثيم لأبيها : يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال : إن أباك يخاف البيات . قال الباجي رحمه الله في هذا المعنى، الرجز التالي :

قد أفلح القانت في جنح الدجى   يتلو الكتاب العربي النيرا

فقائما وراكعا وساجدا   مبتهلا مستعبرا مستغفرا

له حنين وشهيق وبكاء   يبل من أدمعه ترب الثرى

إنا لسفر نبتغي نيل الهدي   ففي السرى بغيتنا لا في الكرا

من ينصب الليل ينل راحته   عند الصباح يحمد القوم السرى

وقال ابن عباس[2] : إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ماداما بين أظهرهم، فأمان قبضة الله إليه وأمان بقي فيكم وهو الإستغفار.

وروى الإمام احمد عن فضالة بن عبيد عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل»[3] .

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4] . قال : ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة بقوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5] .

١ - الجواهر الحسان جـ٣ / ٤١٧ .   ٢، ٣ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٢٧٩ .

٤ ، ٥ - الأنفال (٣٢، ٣٣) .

قال الزمخشري[١] : في قوله (واستغفر لذنبك) هو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا هو محتاج إلى التوبة والإستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر الصلاح. روى ابن جرير عن عصمة بن رامل عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا إستغفر لأبي هريرة ولأمه، قلت ولأبيه؟ قال لا. إن أبي مات مشركًا[٢] .

وقد كان ابراهيم عليه السلام كثير الدعاء حليمًا وإن ناله مكروهًا ولهذا إستغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله (لئن لم تنته لأرجمنك) (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي) فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر حتى تبين أنه عدو لله فترك الإستغفار له، ولهذا يجب أن يكون الدعاة أصحاب حلم وشفقة مع عباد الله لان ابراهيم يخط خطًا واضحًا للدعاة في التحمل والحلم والصبر .وهذا يبين أن عباد الله الصالحين ومنهم الأنبياء هم أنصح عباد الله لعباد الله، قال مطرف بن الشخير[٣] : وجدنا أنصح العباد للعباد، الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[٤] .

قال رجل لأحد الصالحين [٥] : أدع الله لي واستغفر لي فقال له :تب الى الله واتبع سبيله يستغفر لك من هو خير مني وتلا قوله تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنؤن به ويستغفرون للذين آمنوا . . . .) الآية .

---

١ - الكشاف جـ٢ / ٣٠٢ .
٢ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٧٩ .
٣ - الجواهر الحسان جـ٣ / ١٥٢ .
٤ - غافر (٧) .
٥ - الجواهر الحسان جـ٣ / ١٥٢ .

والمؤمنون الصادقون الخاشعون لله يقيظ لهم من يستغفر لهم من الملائكة وهم حملة العرش الذين هم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام وهذا شرف عظيم ومنزلة كبيرة للمؤمنين تستغفر لهم الملائكة المقربون، قال تعالى «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا......) .

والمؤمنون بحاجة إلى الاستغفار الدائم من أنفسهم ومن ملائكة الرحمن فالإستغفار حاجة ماسة للعباد .

قال بعض العارفين : إنما معول المذنبين البكاء والإستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الإستغفار .

قال ابوبكر المزني : لو أن رجلا يطوف على الابواب كما يطوف المساكين، يقول : استغفروا لي، لكان قوله أن يفعل، ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العد والإحصاء، فليستغفر الله مما علم، فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه، كما قال تعالى ﴿ يوم يبعثهم اللهُ جميعًا فينبئهم بما عملوا أحصاهُ اللهُ ونسوه ﴾[1] .

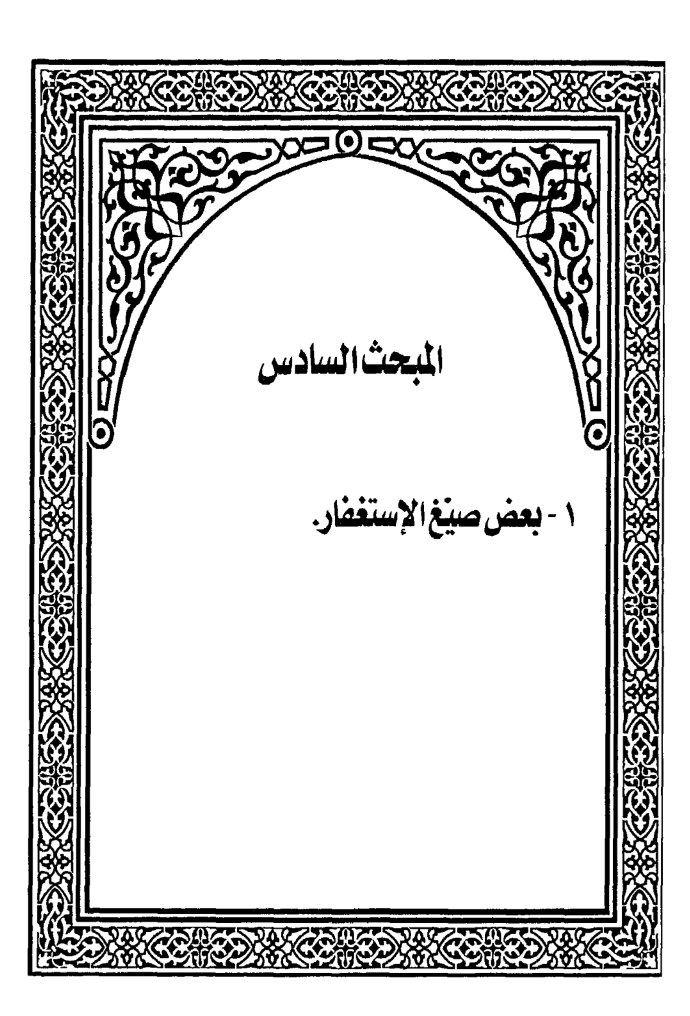
وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «قال : من ذكر خطيئة عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله عز وجل، لم يحبسها شيء حتى يمحوها عنه الرحمن» .

وروي عن الحسن البصري «قال : في العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر، يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون أن يقف عليه ثم يسأله عنه، ثم بكى الحسن بكاءً شديداً، وقال : لو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام، لكان ينبغي لنا أن نبكي .

وقال بلال بن سعد : إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف عليها يوم القيامة وإن تاب» .

---

١ - المجادلة (٦) .



المبحث السادس

١ - بعض صيغ الإستغفار.

بعض صيغ الاستغفار

هناك صيغ متعددة للإستغفار وردت عن النبي ﷺ فمنها :

١ - قول : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

لحديث بلال بن يسار قال : حدثني أبي عن جدي أنه سمع النبي ﷺ يقول : «من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب ، غفر له وإن كان فر من الزحف» رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ولما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث معاذ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات وبعد صلاة العصر ثلاث مرات : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، كفرت عنه ذنوبه وأن كانت مثل زبد البحر».

٢ - قول : «استغفر الله» روى البيهقي في الشعب والاصبهاني وابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ في مسيرة ، فقال : «استغفروا الله». فاستغفرنا ، فقال : «أتموها سبعين مرة». يعني : فأتممناها . فقال رسول الله ﷺ : «ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة ، إلا غفر الله له سبع مئة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم أو ليلة أكثر من سبع مائة ذنب».

٣ - قول : «سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم».

روى البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى : «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» قال : قال «سبحانك اللهم وبحمدك ، عملت سوءً وظلمت نفسي ، فتب عليَّ ، إنك أنت التواب الرحيم» وذكر أنه عن النبي ﷺ ولكن شك فيه ، وقيل إسناده فيه مجهول.

٤ - قول: «اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم».

روى النسائي في عمل اليوم والليلة عن خباب بن الأرت قال: قلت: يا رسول الله! كيف نستغفر الله؟ قال: «قل: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم».

٥ - قول: «استغفر الله وأتوب إليه».

وفي النسائي وعند ابن السني وابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ».

٦ - قول: «رب أغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم». روى أصحاب السنن الأربعة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة قول: «رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم».

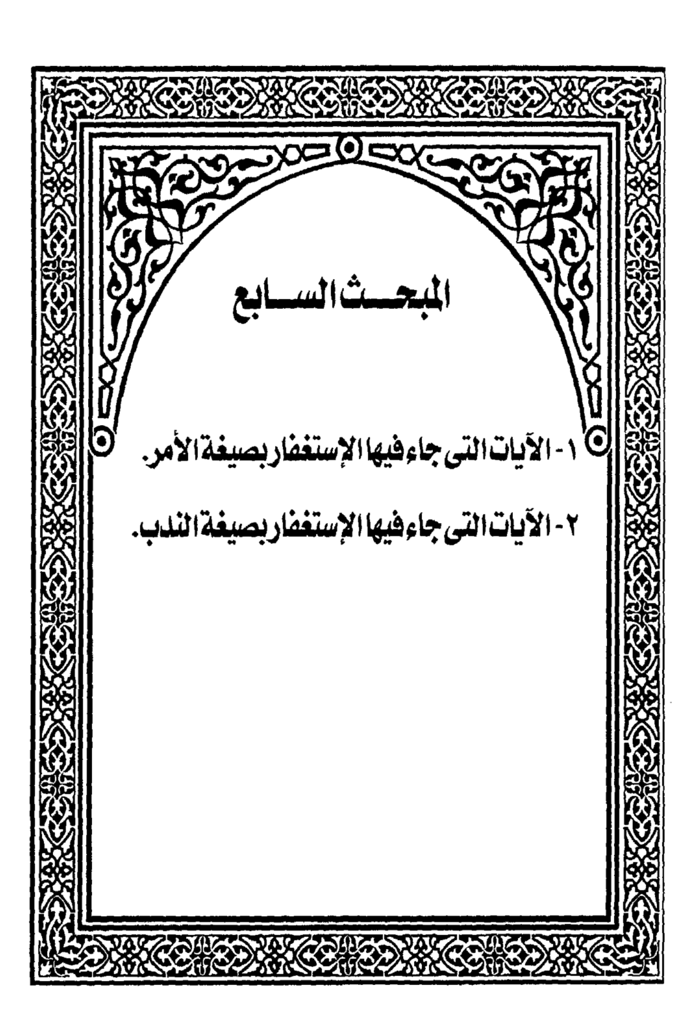
٧ - قول: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

ففي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي. فعلمه ﷺ الدعاء السابق.

٨ - قول: «اللهم! اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

وهذا رواه الإمام مسلم في صحيحه «أنه كان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم».

٩ - قول: «اللهم! اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» وهذا ورد في الصحيحين عن عائشة رضي عنها مرفوعاً.



المبحث السابع

١ - الآيات التى جاء فيها الإستغفار بصيغة الأمر.

٢ - الآيات التى جاء فيها الإستغفار بصيغة الندب.

تنقسم آيات الإستغفار التى جاءت في القرآن إلى:-

١ - آيات جاء فيها الأمر بالإستغفار.

كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١).

وكقوله تعالى﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾(٢)

وكقوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٣) .

٢ - آيات جاء فيها الحث على الإستغفار في القرآن الكريم.

مثل قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(٤).

وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٥).

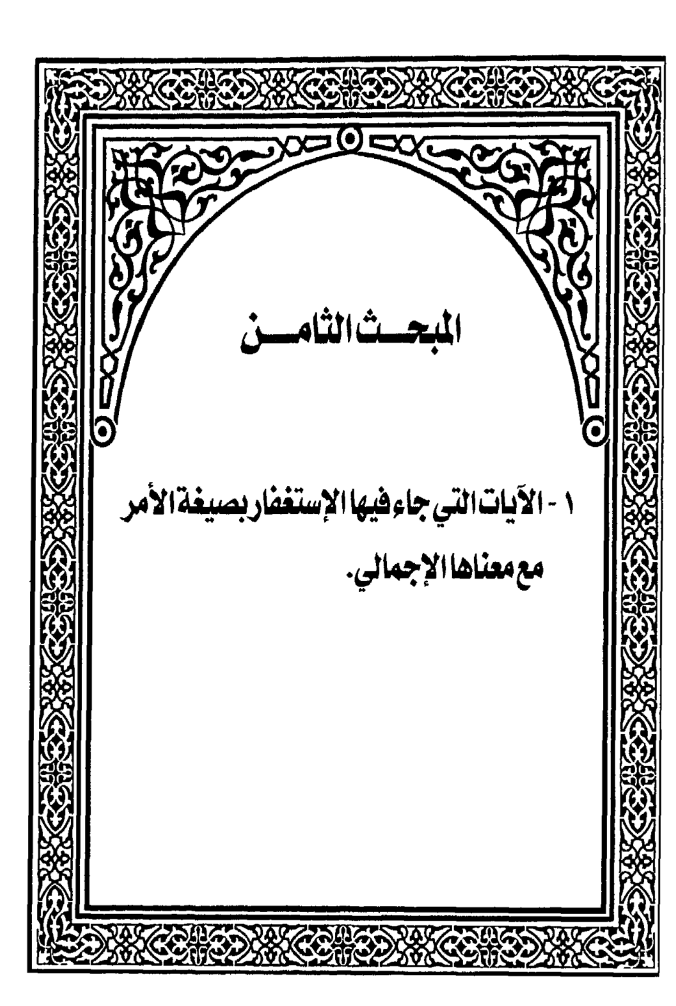
وقوله تعالى ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٦).

---

١ - البقرة (١٩٩) .   ٢ - محمد (١٩).

٣ - النصر (٣).   ٤ - النساء (١١٠).

٥ - الأنفال (٣٣).   ٦ - الذاريات (١٧، ١٨).



المبحث الثامن

١ - الآيات التي جاء فيها الإستغفار بصيغة الأمر مع معناها الإجمالي.

الآيات التى جاء فيها الأمر بالإستغفار وأقوال المفسرين فيها:-

١ - قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

المعنى الاجمالي:

(واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) : أُمروا بالإستغفار لأنهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الإجابة - وقيل إن المعنى إستغفروا للذي كان مخالفاً لسنة ابراهيم وهو وقوفكم بالمزدلفة دون عرفة (٢)، أمر تعالى عند الفراغ من الإفاضة باستغفاره والإكثار من ذكره. فالإستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر لله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة ومنّ بها على ربه وجعلت له محلا ومنزلة رفيعة فهذا حقيق بالمقت ورد الفعل. (٣)

فهذه الآية نص صريح على الإستغفار بعد قضاء العبادات والطاعات لما يحصل فيها من خلل وتقصير خاصة أن الموقف أعني به موقف الإفاضة موقف عظيم ومشهد مؤثر في القلوب وإحساس يجذب أفئدة الخائفين خشوعاً لله، فهو موقف تنزل فيه الرحمات وتجاب فيه الدعوات وتغفر فيه الزلات فكان حقاً أن يكثر فيه العبد من الإستغفار والإعتراف بالتقصير أمام ربه وخالقه، وهذا الإحساس يجعل المؤمن دائم الخوف من عدم قبول عمله ومراقبة ربه. وقد ثبت في صحيح مسلم (أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثاً)

---

١ - البقرة (١٩٩).
٢ - فتح القدير جـ١ / ٢٠٤.
٣ - تيسير الكريم الرحمن ج١ / ١٦٨.

فهذا اول عمل يعمله رسول الله بعد صلاته وهذا كأنه إعتراف بالتقصير ودعاء الله على التوفيق بإكمال العبادة وكذلك حتى لا يقع في النفس إغترار.

٢ - قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]

المعنى الاجمالي:

قوله تعالى «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر»

أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه بأن يعفو عنهم وعما صدر منهم من التقصير في حقه ﷺ ويستغفر لهم عن هذا التقصير في حق الله فيجمع بين العفو والإحسان.[2] قيل[3]: فاعف عنهم فيما يتعلق بك من الحقوق (واستغفر لهم) فيما هو الي الله سبحانه وتعالى. فهذا تدرج بليغ في الأوامر، فأمره أن يعفو عنهم ثم يستغفر لهم فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلا لما بعدها من الإستشارة[4]

٣- قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5]

المعنى الاجمالي:

قوله «واستغفر الله» مما صدر منك إن صدر، وفيه أمر للرسول ﷺ بالإستغفار، قال ابن جرير: إستغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين، وقيل المعنى واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمخاصمين بالباطل. (إن الله كان غفوراً رحيماً) أي يغفر الذنب

١ - آل عمران (١٥٩)
٢ - تفسير الكريم الرحمن جـ١ / ٣١٣.
٢ - فتح القدير جـ١ / ٣٩٣.
٤ - الجواهر الحسان جـ١ / ٣٠٤.
٥ - النساء (١٠٥، ١٠٦).

العظيم لمن استغفره وتاب اليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه.

وثبت في الصحيحين عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصام بباب حجرته فخرج اليهم فقال «ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها».

٤ - قال تعالى ﴿ الَّذينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]

المعنى الإجمالي:

(استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة).

يخبر تعالى نبيه بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا لإستغفاره وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الإستغفار لهم لأن العرب تذكر في أساليب كلامها السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها وقيل لها معنى آخر يفسره قول ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن لهم أكثر من سبعين لعل الله أن يغفر لهم، فقال الله من شدة غضبه عليهم[2]: (سوءا عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) والذي يفهم[3]: من ذكر هذا

---

١ - التوبة (٧٩، ٨٠).
٢ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٤٣.
٣ - الكشاف جـ٢ / (٢٨١).

العدد كثرة الإستغفار حتى قال ﷺ (قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين) وهذا إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليهم كقول ابراهيم عليه السلام (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وفي إظهار النبي ﷺ الرأفة والرحمة: لطف لأمته ودعاء لهم الي ترحم بعضهم على بعض ثم ذكر السبب[١]: المانع لمغفرة الله لهم فقال (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) والكافر لا ينفعه الإستغفار ولا العمل مادام كافراً (والله لايهدى القوم الفاسقين)أي: الذين صار الفسق لهم وضعاً بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلا، يأتيهم الحق الواضح فيردونه فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك.

قال الشوكاني [٢]: يخبر سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن صدور الإستغفار منه للمنافقين وعدمه سواءاً وذلك لأنهم ليسوا بأهل للإستغفار ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم، فهو كقوله (قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم) وفيه بيان لعدم المغفرة من الله وإن اكثر النبي من الإستغفار لهم، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول.

٤ – قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[٣]

المعنى الاجمالي:

عندما أرسل الله هود الي قوم عاد أمرهم بعبادة الله ونبذ الشرك وترك عبادة الأوثان فأمرهم بأصول الدين ثم نصحهم بكثرة الإستغفار ومداومته والتوبة الي الله.

وطلب المغفرة للذنوب السالفة (ثم توبوا اليه) فيما تستقبلونه بالتوبة النصوح والإنابة الي الله[٤]. والإستغفار هو طلب المغفرة باللسان وإنابة القلب وطلب

---

١ – تيسير الكريم الرحمن جـ٢ / ٣٠٢.   ٢ – فتح القدير جـ٢ / ٣٨٧.

٣ – هـود (٥٢).   ٤ – الجواهر الحسان جـ٢ / ١٨٩.

الإستـرشـاد [1]. فـإذا فـعلـتم ذلك (يرسـل السـمـاء عليكم مـدرارا) بـكثـرة المطر وإخصـاب الأرض وكثـرة خيـراتهـا [2]. (ويزدكم قـوة الي قـوتكم) معطوف على يرسـل: أي شـدة مضـافـة الي شـدتكم أو خصبـا الي خصـبكـم أو عـز الي عزكم، قال الزجـاج: أي يزدكم قـوة في النعيم [3]. والظاهر أنهـا قـوة عـامة في كـل شيء. وفي الحديث «من لزم الإسـتغـفار جعل الله له من كل هم فـرجا ومن كل ضـيق مخرجـا ورزقه من حيث لا يحتسب» رواه ابوداود.

(وادرار المطر ومضـاعـفة القوة أمور تجري فيـهـا سنة الله وفق قـوانين ثابتـة في نظام الوجـود - فمـا عـلاقة الإستغفار بها ومـا عـلاقة التوبة؟... فأما زيادة القـوة فالأمر قريب ميسـور بل واقع مشـهود، فإن نظافـة القلب والعمل الـصالح في الأرض يزيدان التـائبين العـاملين قـوة، يـزيدانهم صـحـة في الجسـم وراحـة في الضـمـيـر وهدوء في الأعـصاب وإطمـئـنان الي الله والثـقة برحمتـه في كل آن ويزيدانهـم صحة في المجتمع بسيادة شـريعة الله الصالحة التي تطلق النـاس أحرارا كرامًا لا يدينون لغير الله» [4].

٥ - قال تعالى ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [5].

المعنى الاجمالي:

بعد أن أخبرهم رسـول الله ﷺ بأنه نذير وبشيـر، نذير من عذابه لمن عـصـاه وبشـير بالجنـة والرضـوان لمن أطـاعـه، أمـرهم بالإسـتـغـفـار والتـوبة. وقـدم [6] الإرشـاد الي الإستـغفار علي التوبة لكونه وسيلة اليهـا وقيـل إن التوبة من متممـات الإستغفـار، وقيل معنى اسـتغفـروا توبوا ومعنى توبوا: أخلصـوا التوبة واستقيمـوا عليها، وقـيـل استغفروا

---

١ - المرجع السابق.
٢ - تفسير الكريم الرحمن جـ٢ / ٤١٤.
٣ - فتح القدير جـ٢ / ٥٠٥.
٤ - ظلال القرآن.
٥ - هـــود (٣).
٦ - فتح القدير جـ٢ / ٤٨١.

من سالف الذنوب ثم توبوا من لاحقها، وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة، وقيل إنما قدم ذكر الإستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب، وقيل استغفروا في الصغائر وتوبوا إليه في الكبائر. وقيل[١] : (وأن استغفروا ربكم) : أي اطلبوا مغفرته وذلك بطلب دخولكم في الإسلام (ثم توبوا) من الكفر. (وأن استغفروا ربكم) عن ماصدر منكم من الذنوب (ثم توبوا إليه) فيما تستقبلوه من أعماركم بالرجوع اليه، بالإنابة والرجوع عما يكرهه الله الي ما يحبه ويرضاه[٢] . ثم ذكر ما يترتب علي الإستغفار والتوبة فقال (يمتعكم متاعًا حسنًا) أي[٣] : يعطيكم من رزقه ما تتمتعون به وتنتفعون. ووصف المتاع بالحسن لطيب عيش المومن برجائه في ثواب ربه وفرحه بالتقرب إليه بأداء مفترضاته والسرور بوعده سبحانه وأما الكافر فليس له شيء من هذا[٤] . قيل[٥] : وأصل الإمتاع الإطالة ومنه أمتع الله بك، أي بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من سعة الرزق ورغد العيش (الى أجل مسمى)الي وقت مقدر عند الله وهو الموت وقيل القيامة وقيل دخول الجنة، ويؤت كل ذي فضل فضله) : أي كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله : أي جزاء فضله إما في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعًا.

(وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهذا تهديد شديد لمن تولي عن اوامر الله تعالى وكذب رسله[٦] . وقيل[٧] : أي تتولوا وتعرضوا عن الإخلاص في العبادة والإستغفار والتوبة (فإني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهو يوم القيامة ووصفه بالكبر لما فيه من الأهوال.

والتوبة والإستغفار من الشرك والمعصية دليل حساسية القلب وإنتفاضه، وشعوره

---

١ - الجواهر الحسان جـ٢ / ١٧٨.
٢، ٣ - تفسير الكريم الرحمن جـ٢ / ٣٩٢.
٤ - الجواهر الحسان جـ٢ / ١٧٨.
٥ - فتح القدير جـ٢ / ٤٨١.
٦ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٩٦.
٧ - فتح القدير جـ٢ / ٤٨١.

بلإثم ورغبته في التوبة، والدعوة الي الإستغفار من الشرك والتوبة وهما بدء الطريق للعمل الصالح، والعمل الصالح ليس مجرد طيبة في النفس وشعائر مفروضة تقام. إنما هو الإصلاح في الأرض بكل معاني الإصلاح من بناء وعمارة ونشاط و نماء وإنتاج)[1].

٦ - قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[2]

المعنى الاجمالي:

(فاستغفروه) مما صدر منكم من الكفر والشرك والمعاصي واقلعوا عنها، (ثم توبوا إليه) أي ارجعوا إليه بالتوبة النصوح والإنابة (إن ربي قريب مجيب) أي قريب ممن دعاه دعاء مسألة أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطاء سؤاله، وقبول عبادته وإثابته عليها أجَل الثواب، وقرب عام وخاص، فالعام قربه بعلمه من جميع خلقه، وقرب خاص قربه من عابديه وسائليه ومحبيه. فلما أمرهم صالح عليه السلام ورغبهم في الإخلاص لله وحده ردوا عليه دعوته وقابلوه أشنع مقابلة.

والإضافة في (ربي) ولفظ (قريب) ولفظ (مجيب) واجتماعها وتجاورها ترسم صورة لحقيقة الألوهية كما تتجلي في قلب من قلوب الصفوة المختارة وتخلع علي الجو أنساً واتصالا ومودة تنتقل من قلب النبي الصالح الي قلوب مستمعيه لو كانت لهم قلوب، ولكن قلوب القوم كانت قد بلغت من الفساد والإستغلاق والإنطماس درجة لا تستشعر معها جمال تلك الصورة ولا جلالها ولا تحس بشأن هذا القول الرفيق ولا وضاءة هذا الجو الطليق[3].

---

١ - ظلال القرآن.	٢ - هـود (٦١).

٣ - ظلال القرآن.

٧- قال تعالى ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ﴾(١)

المعنى الاجمالي:

بعد أن خوفهم بما حدث للأمم الغابرة وزرع الرهبة في نفوسهم علهم يعودون ويرجعون، عاد فدعاهم وأمرهم بالإستغفار والتوبة فقال لهم (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) وهذه رحمة من نبي الله شعيب عليه السلام فالإستغفار يجب المعاصي السالفة مما كان وما سيكون منهم من الذنوب والسيئات والإنابة إليه بطاعته وترك مخالفته ومعصيته وختم دعوته لقومه بترغيب عظيم وتذكير برحمة الله ومحبته لعباده المؤمنين فقال (إن ربي رحيم ودود) ودود: بليغ المودة واللطف بمن يحبه فاللهم يسر لنا طرق رحمة الله واجعلنا ممن ينالون ود الله. ولكن شعيب لم يجد من قومه استجابة وطاعة لما أمرهم به وسخروا منه واستهزءوا به فحل عليهم العذاب والخزي

٨- قال تعالى ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾(٢)

المعنى الاجمالي:

هذه الآية تخبر عن زوج امرأة العزيز التى راودت يوسف عن نفسه وكيف واجه هذا الزوج الموقف دون إثارة او بلبلة فقد أمر يوسف بكتمان ما وقع وقال له (يوسف أعرض عن هذا) أي اضرب عنه صفحا ولا تذكره لأحد(٣). وقيل: اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد، طلبا للستر على أهله (٤). وكتمان الأمر. ثم اقبل علي

١ - هود (٨٩ ، ٩٠).
٢ - يوسف (٢٩).
٣ - تفسير ابن كثير جـ٢/ ٤٣٣.
٤ - تفسير الكريم الرحمن جـ٢/ ٤٥٤.

زوجته بقوله (واستغفري لذنبك) يقول لأمرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه فقال لها استغفري لذنبك الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه[1] . (إنك كنت من الخاطئين) . فأمر يوسف بالإعراض وأمر زوجته بالإستغفار والتوبة .

فهي اللباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق ، والتلطف في مجابهة السيدة بنسبة الامر الي الجنس كله ، (يوسف اعرض عن هذا) فأهمله ولا تعره إهتماماً ولا تتحدث به وهذا هو المهم محافظة على الظواهر (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) : إنها الطبقة الأرستقراطية من رجال الحاشية في كل جاهلية قريب من قريب ، وهذا السياق يصور تلك اللحظات بكل ملابساتها وانفعالاتها ولكن دون أن ينشيء منها معرضاً للنزوة الحيوانية الجاهرة ولا مستنقعاً للوحل الجنسي المقبوح[2] .

٩- قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3] .

المعنى الاجمالي:

تخبر هذه الآيات عن يعقوب عليه السلام عندما جاءه البريد بالبشارة من يوسف فارتد بصيرا وكيف ندم أخوة يوسف على عملهم مع أخيهم والمكائد التي قاموا بها وطلبهم الإستغفار من أبيهم ووعد أبيهم لهم بذلك .

قال تعالى «فلما أن جاء البشير» قال المفسرون هو نفس الشخص الذي جاءه بالقميص ملطخا بالدم أول مرة عندما أدعوا أن الذئب أكله ، فأعطني اليوم قميصك

١ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٤٣٣ .
٢ - ظلال القرآن .
٣ - يوسف (٩٦ ، ٩٨) .

لأخبره أنك حي، فافرحه كما أحزنته (القاه علي وجهه) اي القى البشير قميص يوسف علي وجه يعقوب او القاه يعقوب علي وجه نفسه[١] (فارتد بصيراً): أي رجع الى حاله الأولى بصيراً بعد أن ابيضت عيناه من الحزن[٢]. وفي هذه الآية معجزات علمية باهرة وقد ذكر وكتب أحد البحاث أنه جلس بعد صلاة الفجر ذات يوم يفكر في هذه الآية كيف يكون القميص سبب في رجوع البصر والرؤية وكان هذا الشخص طبيباً للعيون فهداه فكره الي أنه لا يوجد في قميص يوسف سوى عرق يوسف، فذهب الي المختبر وحلل العرق فوجد أن فيه مادة تسبب ذوبان الغشاء المانع للرؤية وهو ما يسمى بمرض الماء الأبيض والذي يتكون على عدسة العين وبعد إعادة التجارب تأكد له ذلك وكتب أنه في طور صناعة قطرة للعين تزيل المادة المانعة للرؤية فسبحان الله العظيم، فهذا يعقوب عليه السلام نتيجة البكاء المستمر والهم الدائم لفراق فلذة كبده تكوّن على عينيه ماء منع الرؤية وأصبح أعمى ولكن ما أن وضع القميص على عينيه حتى أرتد بصيراً فهذا إعجاز علمي ومعجزة لهذا النبي الكريم عليه السلام .وقدرة إلهية عظيمة.

(قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم».

طلبوا أخوة يوسف من أبيهم أن يستغفر لهم واعترفوا بالخطأ والذنب في حق ابيهم يعقوب وأخاهم يوسف فأبوهم أرجأ الطلب لأنه قال سوف وقيل أخر الطلب والإستغفار لوقت السحر لأنه وقت فاضل وحري بالإجابة وروي أن يوسف عليه السلام لما غفر لإخوته وتحققوا أن اباهم يغفر لهم قال بعضهم لبعض: ما يغني عنا هذا إن لم يغفر الله لنا، فطلبوا حينئذ من يعقوب أن يطلب لهم المغفرة[٣].

---

١ - فتح القدير جـ٣ / ٥٤.
٢ - تفسير الكريم الرحمن جـ٢
٣ - الجواهر الحسان جـ٢ / ٢٣٤.

ومفاجأة القميص هو دليل علي يوسف وقرب لقياه ومفاجأة إرتداد البصر بعدما أبيضت عيناه وهنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه تلك التى حدثهم بها من قبل فلم يفهموه (قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) ونلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئا من أولاده وأنه لم يصف لهم بعد، وإن كان وعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة الي قلب[1] إنساني مكلوم.

١٠ - قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

المعنى الاجمالي:

قال «واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم» استغفر لهم يا محمد ربك يغفر لهم الذنوب ويرحمهم بأن جوز لهم الإستئذان مع العذر [3] (غفور رحيم) : كثير المغفرة والرحمة بالغ فيهما الى الغاية التي ليس وراءها غاية[4].

«فالإسلام منهج حياة كامل، ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها وفي كل علاقاتها وإرتباطاتها وفي كل حركاتها وسكناتها ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة كما يتولى التكاليف العامة الكبيرة وينسق بينها جميعاً ويتجه بها الي الله في النهاية.

ويشير القرآن الكريم الى ان مغالبة الضرورة وعدم الإنصراف هو الأولى وأن الإستئذان والذهاب فيهما تقصير أو قصور يقتضي استغفار النبي ﷺ للمعتذرين

---

١ - ظلال القرآن.

٢ - النـــــور.

٣ - تفسير الكريم الرحمن جـ٣ / ٤٧٥.

٤ - فتح القدير جـ٤ / ٥٨.

«واستغفر لهم الله، إن الله غفور رحيم» وبذلك يقيد ضمير المؤمن فلا يستأذن وله مندوحة لقهر العذر الذي يدفع به الى الإستئذان»(١).

١١- قال تعالي﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(٢).

المعنى الاجمالي:

هذه الآية الكريمة أمر من الله سبحانه وتعالى بالصبر والإستغفار والتسبيح بحمد الله في العشي والإبكار (واستغفر لذنبك) أمر من الله سبحانه بالإستغفار لذنبه وقيل المراد ذنب أمتك وقيل المراد الصغائر عند من يجوزها على الأنبياء وقيل مجرد تعبد له ﷺ بالإستغفار لزيادة الثواب، وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر (٣). فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب وبالإستغفار الذي فيه دفع المحذور (وسبح بحمد ربك) خصوصاً (بالعشي والإبكار) اللذين هما أفضل الأوقات وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما لأن في ذلك عوناً علي جميع الأمور(٤). وقيل المراد صلاة العصر والفجر وقيل ركعتان غدوة وركعتان عشية (٥).

«فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار» هي دعوة الي الصبر، الصبر علي التكذيب وعلي الأذى والصبر علي نفخة الباطل وانتشائه بالغلبة والسلطان في فترة من الزمان والصبر على طباع الناس وأخلاقهم وتصرفاتهم، والصبر علي النفس وميولها وقلقها وتطلعها ورغبتها في النصر القريب والصبر علي أشياء كثيرة في الطريق قد تجيء من جانب الأصدقاء قبل أن تجيء من

١ -ظلال القرآن.
٢ - غافر (٥٥).
٣ - تفسير الكريم الرحمن جـ٤ / ٣٨٦.
٤ - فتح القدير جـ٤ / ٤٩٧.
٥ - تفسير الكريم الرحمن جـ٤ / ٣٨٦.

جانب الأعداء (فاصبر إن وعد الله حق) . . مهما يطل الأمد ومهما تتعقد الأمور ومهما تتقلب الأسباب إنه وعد من يملك التحقيق ومن وعد لأنه أراد .

وفي الطريق خذ زاد الطريق (واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) . هذا هو الزاد في طريق الصبر الطويل الشاق إستغفار للذنب وتسبيح بحمد الرب والإستغفار المصحوب بالتسبيح وشيك أن يجاب وهو في ذاته تربية للنفس وإعداد وتطهير للقلب وزكاة ، وهذه هي صورة النصر التى تتم في القلب فتعقبها الصورة الأخرى في واقع الحياة .

واختيار العشي والإبكار إما كناية عن الوقت كله فهذان طرفاه ، وإما لأنهما آنان يصفو فيهما القلب ويتسع المجال للتدبر والسياحة مع ذكر الله .

هذا هو المنهج الذي اختاره الله لتوفير عدة الطريق الى النصر وتهيئة الزاد ولا بد لكل معرفة من عدة ومن زاد[1] .

١٢ - قال تعالي ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

المعنى الإجمالي:

لما كان العبد ولو حرص علي الإستقامة لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور أو ارتكاب منهي أمرهم بدواء ذلك بالإستغفار المتضمن للتوبة فقال (واستغفروه) ثم توعد من ترك الإستقامة فقال «وويل للمشركين» الذين لا يؤتون الزكاة» فلا إخلاص منهم للخالق بالتوحيد والصلاة ، ولا نفع للخلق منهم بالزكاة وغيرها[3] .

١٣ - قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[4] .

---

١ - ظلال القرآن.
٢ - فصلت (٦) .
٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ٤ / ٣٠٤ .
٤ - محمد (١٩) .

المعنى الإجمالي

قوله تعالى «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة والحسنات الماحية وترك الذنوب والعفو عن الجرائم[1].

وقيل[2]: استغفر الله أن يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك أو استغفره مما ربما يصدر منك من ترك الأولى، وقيل الخطاب له والمراد بذلك الأمة. (وللمؤمنين والمؤمنات) المراد به استغفاره لذنوب أمته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم. قيل[3]: فإنه بسبب إيمانهم كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة ومن جملة حقوقهم أن يدعوا لهم ويستغفر لذنوبهم وإذا كان مأموراً بالإستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم فإنه من لوازم ذلك النصح لهم وأن يحب لهم الخير ويكره لهم الشر ويعفو عن مساويهم ومعايبهم ويحرص على اجتماعهم ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق التي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

١٤ - قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[4].

المعنى الإجمالي

هذه الآية تفضح المنافقين من الأعراب الذين تخلوا عن رسول الله ﷺ واعتذروا بأنشغالهم بأموالهم وأهليهم وزادوا في النفاق عندما سألوا الرسول ﷺ أن يستغفر لهم مصانعة وخبث لا على سبيل الإعتقاد بل على سبيل الإستهزاء وسوء الظن بالله ورسوله فبئس المال والأهلون الذين يشغلون عن طاعة الله ورسوله.

---

١ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٢٩.
٢ - فتح القدير جـ٥ / ٣٦
٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٢٩.
٢ - الفتح (١١).

وقوله «فاستغفر لنا» طلبوا الإستغفار من الرسول ليس عن إعتقاد بل على طريقة الإستهزاء وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم(١).

وطلبهم هذا لا يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) فلولا هذا الذي في قلوبهم لكان إستغفار الرسول نافعًا لهم ولكن الذي في قلوبهم أنهم تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء(٢).

١٥ - قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

المعنى الاجمالي

قوله (واستغفر لهن الله) : أي اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك. وهذا الدعاء من النبي ﷺ لهؤلاء النسوة بعد إلتزامهن بشروط المبايعة هو من باب ترسيخ الإسلام في قلوبهن وتثبيت أركانه والبعد عن تلك الصفات التى تكثر في النساء عن الرجال وهذا الاستغفار تطييب لخواطرهن وتوبة عما بدر منهن من تقصير في حق الله ورسوله. (إن الله غفور رحيم) بالغ المغفرة والرحمة لعباده، وللعاصين منهم كثير الإحسان الى المذنبين التائبين واسع الرحمة لكل شيء عام بإحسانه لكل المخلوقات والبرايا.

١٦ - قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(٤).

---

١ - فتح القدير جـ٥ / ٤٨.
٢ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٤٣.
٣ - الممتحنة (١٢).
٤ - نوح (٩، ١٠).

المعنى الإجمالي

(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً : أي[1] : اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب واستغفروا الله منها (إنه كان غفاراً) كثير المغفرة لمن تاب واستغفر فرغبهم بمغفرة الذنوب وما يترتب عليها من الثواب واندفاع العقاب ، ورغبهم أيضا بخير الدنيا العاجل فقال (يرسل السماء عليكم مدراراً) أي مطراً متتابعا يروى الشعاب والوهاد ويحي البلاد والعباد (ويمددكم بأموال وبنين) أي يكثر أموالكم التى تدركون بها ما تطلبون من الدنيا .

(ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها[2] . (فقلت استغفروا ربكم)[3] : وفي هذه الآية دليل علي أن الإستغفار من أعظم أسباب نزول المطر وحصول أنواع الأرزاق ، أعلمهم نوح عليه السلام أن إيمانهم بالله يجمع لهم الحظ الوافر في الآخرة والخصب والغني في الدنيا . (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً) قال ابن كثير في هذه الآية[4] :أي متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الإستسقاء وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد علي الإستغفار وقراءة الآيات في الإستغفار ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل به المطر ، وقوله (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) أي : إذا تبتم الى الله وإستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدَّر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها .

---

١ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٣٠٤ .
٢ - المرجع السابق.
٣ - فتح القدير جـ٥ / ٢٩٩ .
٤ - تفسير ابن كثير جـ٤ / ٣٨٤ .

«وفي أثناء ذلك كله أطمعهم في خيري الدنيا والآخرة أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو سبحانه غفار للذنوب وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجعونها وهي المطر الغزير الذي تنبت به الزروع وتسيل به الأنهار كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها وهي البنين والأموال التي يطلبونها ويعزونها .. وقد ربط بين الإستغفار وهذه الأرزاق وفي القرآن مواضيع متكررة فيها هذا الإرتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء .وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة ، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ومن سنة الحياة ، كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون ... والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد وما من أمة قام فيها شرع الله واتجهت إتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والإستغفار المنبيء عن خشية الله ... ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض واستخلفها بالعمران وبالصلاح سواء[1] .

١٧ - قال تعالى ﴿ ...وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

المعنى الاجمالي

(واستغفروا الله إن الله غفور رحيم» قال [3] : وفي الأمر بالإستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير فائدة كبيرة وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به ، إما أن لا يفعله أصلا أو يفعله على وجه ناقص ، فأمر بترقيع ذلك بالإستغفار . فإن العبد يذنب آناء الليل وأطراف النهار ، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته فإنه هالك .

---

١ - ظلال القران.　　٢ - المزمل (٢٠).

٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٣٢٢ .

١٨ - قال تعالى ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتحُ (١) ورأيتَ النَّاس يدخلون في دين الله أفواجًا (٢) فسبِّح بحمدِ ربِّكَ واستغفرهُ إنَّهُ كان توَّابا﴾[١]

المعنى الإجمالي

في هذه السورة الكريمة بشارة وأمر لرسوله ﷺ عند حصولها وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك، فالبشارة هي [٢]: البشارة بنصر الله لرسوله وفتحه مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره بعد أن كانوا من أعدائه وقد وقع هذا المبشر به وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح فأمر رسوله أن يشكره على ذلك ويسبح بحمده ويستغفره. وأما الإشارة فإن في ذلك إشارتين :إشارة أن النصر يستمر للدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله وإستغفاره من رسوله فإن هذا من الشكر والله يقول «لئن شكرتم لأزيدنكم» وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل النصر مستمراً. حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث فابتلوا بتفرق الكلمة وتشتت الأمر فحصل ما حصل ومع هذا فلهذه الأمة وهذا الدين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال ويدور في الخيال.

وأما الإشارة الثانية: فهي إلى أن أجلُ رسول الله ﷺ قد قرب ودنا. ووجه ذلك أن عمره، عمر فاضل أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة، تختم بالإستغفار كالصلاة والحج وغير ذلك.

فأمر الله رسوله بالحمد والإستغفار في هذه الحال، إشارة الى أن أجله قد انتهى فليستعد ويتهيأ للقاء ربه ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه فكان يتأول القرآن ويقول ذلك في صلاته يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٣]: أن

---

١ -النصر (١ - ٣).   ٢ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٤٤٠.

٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٤٤٠.

النبي ﷺ لما فتح مكةوأسلمت العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك إستغفرك وأتوب إليك يتأول القرآن في هذه السورة. وقال لها مرة «ما أراه إلا حضور أجلي».

وأما أمر نبيه محمد ﷺ بالإستغفار ففيه أقوال ذكرها الشوكاني (١): قال أي اطلب منه المغفرة لذنبك هضماً لنفسك واستقصارا لعملك واستدرك ما فرط منك من ترك ما هو أولى، وقد كان ﷺ يرى قصوره عن القيام بحق الله ويكثر من الإستغفار والتضرع وإن كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وقيل إن الإستغفار منه ﷺ ومن سائر الأنبياء هو تعبد تعبدهم الله به لا لطلب المغفرة لذنب منهم وقيل: إنما أمره الله سبحانه بالإستغفار تنبيها لأمته وتعريضا بهم فكأنهم هم المأمورون بالإستغفار. وقيل إن الله سبحانه أمره بالإستغفار لأمته لا لذنبه.

«والإكرام بتحقق النصر يتطلب منهم الإتجاه الى الله بالتسبيح والحمد والإستغفار لحظة الإنتصار، والإستغفار علاج لأمور نفسية كثيرة دقيقة لطيفة المدخل: الإستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح وفرحة الظفر بعد طول العناء وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري فمن هذا يكون الإستغفار، وكذلك الإستغفار من إستبطاء وعد الله بالنصر، والإستغفار من التقصير في حمد الله وشكره. وكذلك الإستغفار لحظة الإنتصار لكي تشعر النفس بالنقص والعجز والتقصير والإتجاه الى الله طلبًا للعفو والسماحة والمغفرة وهذا يضمن عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين، ليراقب المنتصر الله فيهم فهو الذي سلطه عليهم وإنها سلطة الله عليهم تحقيقًا لأمر يريده هو النصر نصره والفتح فتحه والدين دينه والي الله تصير الأمور.

---

١ - فتح القدير جـ٥ / ٥١٠.

وهذا كان أدب محمد ﷺ في حياته كلها في موقف النصر والفتح الذي جعله ربه علامة له ... انحني لله شاكراً على ظهر دابته ودخل مكة على هذه الصورة ... مكة التي آذته وأخرجته وحاربته ووقفت في طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة .. فلما أن جاءه نصر الله والفتح، نسي فرحة النصر وأنحنى إنحناءة الشكر، وسبح وحمد وإستغفر كما لقنه ربه وجعل يكثر من التسبيح والحمد والإستغفار وكانت هذه سنته في أصحابه من بعده رضى الله عنهم أجمعين وهكذا ارتفعت البشرية بالإيمان بالله وهكذا أشرقت وشفت ورفرفت وهكذا بلغت من العظمة والقوة والإنطلاق[1].

---

١ - ظلال القرآن.

آيات جاء فيها ذكر الإستغفار بصيغة الحث والندب

١- قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾[١]

المعنى الإجمالي

يعدد سبحانه وتعالى صفات أولئك المتقين الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار فهم دائمي الدعاء لله بهذه الدعوات فهم لا يتوسلون بغير الإيمان ويدعون بالمغفرة والوقاية من عذاب النار، ثم يذكر لنا سبحانه صفات القوم إنهم صابرين على الطاعة وصابرين عن المعصية وصابرين في كل حال وصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم وقانتين طائعين وخاضعين لله سبحانه وتعالى ومنفقين متصدقين في سبيل الله وفوق هذا كله ومعاه مستغفرين لذنوبهم ليس في أي وقت بل وقت السحر وهذا دليل على صدق إستغفارهم وتوبتهم إنهم أناس جمعوا الخلال العظيمة التى تنجي الواحدة منها فكيف بها جميعًا نسأل الله من فضله مؤمنين - صابرين - صادقين - قانتين - منفقين - مستغفرين.

ست صفات عظيمة، كل واحدة أعظم من الأخرى فكيف إذا اجتمعت؟

وصفهم بالصدق بالأقوال والأحوال وهو إستواء الظاهر والباطن وصدق العزيمة على سلوك الصراط المستقيم.

وبالقنوت الذي هو : دوام الطاعة مع مصاحبة الخشوع والخضوع وبالنفقات في سبيل الخيرات وعلى الفقراء وأهل الحاجات.

وبالإستغفار خصوصًا وقت السحر فإنهم مدوا الصلاة الى وقت السحر فجلسوا يستغفرون الله تعالى[٢]. وخص الأسحار لأنها من أوقات الإجابة[٣]. قال ابن كثير[٤]:

---

١ - آل عمران (١٦، ١٧).
٢ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٢٥٥.
٢ - فتح القدير جـ١ / ٣٢٦.
٤ - تفسير ابن كثير جـ١ / ٣١٠٠.

(والمنفقين) أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات وصلة الأرحام والقرابات وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجات (والمستغفرين بالأسحار) دل ذلك على فضيلة الإستغفار وقت الأسحار وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) إنه أخرهم الى وقت السحر وثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟».

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، فانتهى وتره الى السحر».

وكان عبدالله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والإستغفار حتى يصبح. وروى ابن جرير أنه قال أن رجلا سمع في السحر في ناحية من المسجد وهو يقول يارب أمرتني فأطعتك وهذا السحر فاغفر لي فنظرت فإذا هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة.

«والإستغفار بالأسحار بعد هذا كله يلقى ظلالا رفافة ندية عميقة، وهكذا يبدأ القرآن بالنفس البشرية من موضعها على الأرض وشيئًا فشيئًا يرف بها في آفاق وأضواء حتى ينتهي بها الى الملاء الأعلى في يسر ورفق ورحمة»(١).

٢- قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

---

١ - ظلال القرآن.

٢ - آل عمرن (١٣٥).

المعنى الإجمالي

هذه الآية فيها رجاء كبير ورحمة من الله واسعة تفتح باب المسارعة الى التوبة وتغلق باب القنوط من رحمة الله، أخرج الترمذي[١] : أنه عندما نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا) صاح إبليس بجنوده وحثا على رأسه التراب ودعا بالويل والثبور حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر، فقالوا : مالك ياسيدنا ؟ قال : آية نزلت في كتاب الله لا يضر بعدها أحداً من بني أدم ذنب، قالوا وماهي ؟ فأخبرهم، قالوا نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون إلا أنهم على الحق، فرضي منهم بذلك.

«والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله» ذكر سبحانه في هذه صنفاً من الناس دون الصنف الأول فألحقهم برحمته ومنه وهم صنف التوابون [٢]، وقال السعدي[٣] : أي من صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والإستغفار وذكروا ربهم وما توعد به العاصين ووعد به المتقين فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها. والفاحشة [٤] : قيل : تطلق على كل معصية وقد كثر إختصاصها بالزنا، وقيل الفاحشة : الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة، (ذكروا الله) أي بألسنتهم أو أخطروه في قلوبهم أو ذكروا وعده ووعيده (فاستغفروا لذنوبهم) أي طلبوا المغفرة لها من الله سبحانه، وهذه الآية فيها ترغيب لطلب المغفرة منه سبحانه وتنشيط للمذنبين أن يقفوا في مواقف الخضوع والتذلل.

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « قال إبليس" يارب وعزتك لا ازال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

---

١ - فتح القدير جـ١ / ٣٨٢.

٢ - الجواهر الحسان جـ١ / ٢٩٢.

٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ١.

٤ - فتح القدير جـ١ / ٣٨٢.

«والفاحشة: أبشع الذنوب واكبرهاولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهوون إليها من رحمة الله ولا تجعلهم في ذيل القافلة، إنما ترتفع بهم الى أعلى مرتبة، مرتبة المتقين على شرط واحد أن يذكروا الله فيستغفروا لذنوبهم وألا يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أنها خطيئة والا يتبجحوا بالمعصية في غير تحرج ولا حياء.

إن الطفل الذي يخطيء ويعرف أن السوط لا سواه في الدار ينتظره.... سيروح آبقًا شاردًا لا يعود الى الدار ابداً. فأما إذا كان يعلم أن الى جانب السوط يداً حانية تربت على ضعفه حين يعتذر من الذنب وتقبل عذره حين يستغفر من الخطيئة فإنه سيعود. وهكذا الإسلام يعطف على الإنسان في لحظة الضعف ليأخذ بيده الى مراقي الصعود ويربت عليه في لحظة التعثر ليحلق به الى الأفق من جديد»(١).

٣- قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

المعنى الاجمالي

أخبر سبحانه عن كرمه العظيم وجوده ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك» أي معترفين بذنوبهم باخعين بها(٣). قيل ظلم النفس بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (٤). وقيل ظلم النفس بالمعصية والنفاق (٥). (فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا) أي لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء الى الرسول مختص بحياته لكون الإستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته وأما بعد موته فإن ذلك شرك. قال (٦): يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا

---

١ - ظلال القرآن.
٢ - النساء (٦٤).
٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ١ / ٤٠٠.
٤ - فتح القدير جـ١ / ٤٨٣.
٥ - الجواهر الحسان جـ١ / ٣٥٩.
٦ - تفسير ابن كثير جـ١ / ٤٦١.

وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم.

قال[١] : (جاءو :) متوسلين إليك متنصلين عن جناياتهم ومخالفتهم (فاستغفروا الله) لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم وإنما قال (واستغفر لهم الرسول) على طريقة التفخيم لشأن الرسول ﷺ (لوجدوا الله توابا رحيما) كثير التوبة عليهم والرحمة لهم.

٤ - قال تعالى ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾[٢]

المعنى الاجمالي

يخبرنا سبحانه وتعالى عن سعة رحمته وكريم عفوه وعظيم حلمه وكرمه الجم في حق العصاة المذنبين مهما كان الذنب صغيراً أو كبيراً وتبعه الإستغفار غفر الله الذنب وهذه الآية في حق المسلمين عامة الى يوم الدين.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله[٣] : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) أي : من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله إستغفاراً تاما، يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود لهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة، فيغفر له ما صدر منه من الذنب ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب ويعيد اليه ماتقدم من الأعمال الصالحة ويوفقه فيما يستقبله من عمره ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه لأنه قد غفره وإذا غفره، غفر ما يترتب عليه واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل المعاصي الصغيرة والكبيرة. وسمي (سوءاً) لكونه يسوء عامله بعقوبته ولكونه في نفسه سيئاً غير حسن.

---

١ -فتح القدير جـ١ / ٤٨٣.   ٢ - النساء (١١٠).

٣ - تيسير الكريم الرحمن جـ١ / ٤٤٧ .

قال الشوكاني[1] : والمراد بالسوء : القبيح الذي يسوء به (أو يظلم نفسه) قال بفعل معصية من المعاصي أو ذنب من الذنوب التي لا تتعدى إلى غيره.

روى ابن كثير[2] : أن امرأة جاءت الي عبدالله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحبلت فلما ولدت قتلت ولدها، قال عبدالله بن مغفل لها النار، فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال : ما أرى أمرك إلا أحد أمرين مما في الآية ثم تلى قوله تعالى «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» قال : فمسحت عينها ثم مضت .وهذه الآية فيها من البشارة لجميع المسلمين وفيها فتح باب التوبة وعدم القنوط من رحمة الله فا الله رحيم بعباده توابا عليهم. روى ابن كثير[3] : قال" عن كعب الأزدي قال : سمعت أبا الدرداء يحدث قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه، وإنه قام فترك نعليه، قال ابو الدرداء : فاخذ ركوة من ماء فاتبعته فمضي ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته، فقال « إنه آتاني آت من ربي فقال إنه «من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» فأردت أن أبشر أصحابي».

٥- قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

المعنى الاجمالي

يخبر تعالى عن كفر من قال من النصارى أن الله ثالث ثلاثة ويدحض تلك المقالة بأنه (مامن إله الا إله واحد) سبحانه وتعالى، ثم تبين الآية عظم كرم الله ورحمته

١ - فتح القدير جـ١ / ٥١٣. ٢ - تفسير ابن كثير جـ١ / ٤٩٢.
٣ - المرجع السابق. ٤ - المائدة (٧٣ ، ٧٤).

بالتلطف لمن يقول تلك المقالة بالرجوع عما يقولون والإستغفار منه والتوبة لكي تدركهم رحمة الله.

ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال (افلا يتوبون) أي يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد وبأن عيسى عبدالله ورسوله[1]. وهذا رفق من الله جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة، ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران والرحمة إستجلابا للتائبين. وتأنيساً لهم ليكونوا على ثقة من الإنتفاع بتوبتهم[2].

وهذا الرفق بالتائبين من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الإفتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه[3]. (ويستغفرونه) عن ماصدر منهم (والله غفور رحيم) أي[4]: يغفر ذنوب التائبين ولو بلغت عنان السماء ويرحمهم بقبول توبتهم وتبديل سيئاتهم حسنات وصدر دعوتهم الى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله (أفلا يتوبون الى الله).

٦- قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5].

المعنى الاجمالي

عن معاوية أنه قال لرجل من سباء : ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك عندما قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق «إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة» ولم يقولوا : إن كان هذا هو الحق فاهدنا

---

١ - تيسير الكريم الرحمن جـ١ / ٥٦٨.
٢ - الجواهر الحسان جـ١ / ٤٤٠.
٣ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٧٧.
٤ - تيسير الكريم الرحمن جـ١ / ٥,٥٦٨
٥ - الأنفال (٣٣).

له[1] . فأجاب الله عليهم بقوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) : ما دمت فيهم فهم في مهلة من العذاب الذي هو الإستئصال[2] .

فوجوده ﷺ أمنٌ لهم من العذاب وكانوا مع قولهم هذه المقالة ، يدرون بقبحها ويخافون من وقوعها فيهم فيستغفرون الله تعالى فلهذا قال «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فهذا مانع يمنع وقوع العذاب بهم بعدما انعقدت أسبابه[3] .

وروى أنهم كانوا يقولون في الطواف غفرانك : أي كان الله معذبهم في حال كونهم يستغفرونه وقيل المعنى : لو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفره لم يعذبهم وقيل : إن الإستغفار راجع إلي المسلمين الذين هم بين أظهرهم أي وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين فلما خرجوا من بين ظهرهم عذبهم الله بيوم بدر وما بعده وقيل : المعنى : وما كان الله معذبهم وفي أصلابهم من يستغفر الله[4] .

وقال ابن عباس في قوله (وما كان ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال[5] كان فيهم أمانان النبي ﷺ والإستغفار فذهب النبي وبقي الإستغفار ، وعن ابن عباس يقولون ما كان الله ليعذب قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم .

قال الزمخشري [6] : في قوله (وهم يستغفرون) معناه : نفي الإستغفار عنهم : أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم الله ، لقوله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع منهم ذلك وقيل معناه غير ذلك .

«إن الله قد أمسك عنهم عذاب الإستئصال الذي أخذ به المكذبين قبلهم لأن رسول الله بينهم ولا يزال يدعوهم إلى الحق والهدى ، والله لا يعذبهم عذاب الإستئصال

---

١ - الكشاف جـ٢ / ٢٠٥ .
٢ - فتح القدير جـ٢ / ٣٠٤ .
٣ - تفسير بن سعدي جـ٢ / ٢٢٦ .
٤ - فتح القدير جـ٢ / ٣٠٤ .
٥ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٢٨٠ .
٦ - الكشاف جـ٢ / ٢٠٦ .

والرسول فيهم كما أنه لا يعذبهم هذا العذاب على معاصيهم إذا كانوا يستغفرون منها، إنها رحمة الله تمهلهم عسى أن يستجيب للهدى منهم من تخالط بشاشة الإيمان قلبه ولو بعد حين وما دام الرسول ﷺ بينهم يدعوهم فهنالك توقع لإستجابة البعض منهم، فهم إكراما لوجود رسول الله بينهم يُمهلون والطريق أمامهم لإتقاء عذاب الإستئصال دائما مفتوح إذا هم استجابوا واستغفروا عما فرط منهم وأنابوا وأمالوا عاملهم الله بما هم فيه فهم مستحقون لهذا العذاب»[١].

٧- قال تعالى ﴿ ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[٢].

المعنى الاجمالي

يبين الله سبحانه وتعالى البراءة من المشركين والمنافقين وأنها واجبة ويقطع سبحانه وتعالى كل أواصر الصلة ليأكد مفهوم العلاقة في الدين وأنها هي الأساس وليس الأساس القربة والصلة والنسب وإنما الدين هو الأساس في العلاقات عامة، وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار وتحريم الإستغفار لهم[٣]. (ما كان للنبي والذين آمنوا) يعني[٤]: ما يليق ولا يحسن بالنبي والمؤمنين معه (أن يستغفروا للمشركين) أي لمن كفر به وعبد معه غيره (ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فإن الإستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، لأنهم إذا ماتوا على الشرك أو علم أنهم يموتون عليه فقد حقت عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم الخلود في النار ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين ولا استغفار المستغفرين، وأيضاً فإن النبي والذين آمنوا

---

١ - ظلال القرآن.
٢ - التوبة (١١٣، ١١٤).
٣ - فتح القدير جـ٢ / ٤١٠.
٤ - تفسير بن سعدي جـ٢ / ٣٢٤.

معه عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه ويوالوا من والاه الله ويعادوا من عاداه الله والإستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك مناقض له.

قوله (من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الإستغفار والمعنى: أن هذا التبين موجب لقطع الموالاه لمن كان هكذا وعدم الإعتداد بالقرابة لأنهم ماتوا على الشرك. وقد قال سبحانه (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده [1].

ولئن وجد الإستغفار من خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام لأبيه فإنه (عن موعدة وعدها إياه) في قوله (سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله سيموت على الكفر ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير (تبرأ منه) موافقة لربه وتأدبًا معه[2]. وأنه غير مستحق للإستغفار[3].

(أن ابراهيم لأواه): أي رجاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء والإستغفار والإنابة الى ربه [4].

وقيل: الخائف الذي يكثر التأوه من خوف الله عز وجل، والتأوه التوجع الذي يكثر حتى ينطق الإنسان معه بأوه [5].

(حليم) أي[6]: ذو رحمة بالخلق وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات لا يستغفره جهل الجاهلين ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له (لأرجمنك) وهو يقول له (سلام عليك سأستغفر لك ربي) فعليكم أن تقتدوا به وتتبعوا ملة ابراهيم.

قيل:[7] الحليم: الكثير الحلم كما تفيده صيغة المبالغة وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى، وقيل الذي لا يعاقب أحداً إلا لله.

---

١ -فتح القدير جـ٢ / ٤١٠.

٢، ٣ - المرجع السابق.

٤ - تفسير بن سعدي جـ٢ / ٣٢٥.

٥ - الجواهر الحسان جـ٢ / ١٤٦.

٦ - تفسير بن سعدي جـ٢ / ٣٢٥.

٧ - فتح القدير جـ٢ / ٤١٠.

«إن هذه العقيدة هي العروة الكبرى التى تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية فإذا انبتت وشيجة العقيدة الأواصر الأخرى من جذورها، فلا لقاء بعد ذلك في نسب ولا لقاء بعد ذلك في صهر ولالقاء بعد ذلك في قوم ولا لقاء بعد ذلك في أرض أما إيمان بالله فالوشيجة الكبرى موصولة والوشائج الأخرى كلها تنبع منها وتلتقى بها أو لا إيمان فلا صلة إذن يمكن أن تقوم بين إنسان وإنسان. وهذه التوكيدات المتوالية وهذا الحسم القاطع في علاقات القرابة تدل على ما كان يختلج بعض النفوس من الإضطراب بين الروابط السائدة ورابطة العقيدة الجديدة مما اقتضى هذا الحسم حتى الإستغفار للموتى على الشرك قد لقي هذا التشديد. لتخلص القلوب لله وحده»(١).

٨- قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾(٢).

المعنى الإجمالي

يخبر سبحانه وتعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات، وأنه ما منعهم من إتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا كما قال أولئك لنبيهم (فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين) وآخرون قالوا (اءتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قريش (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اءتنا بعذاب أليم) (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) الى غير ذلك من الآيات الدالة

---

١ - ظلال القرآن. ٢ - الكهف (٥٥).

على ذلك، ثم قال (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم[1].

قال الشوكاني[2]: والهدى هو القرآن ومحمد ﷺ، والمعنى أي: ما منع الناس من الإيمان والإستغفار إلا طلب إتيان سنة الأولين أو انتظار إتيان سنة الأولين، وزاد الإستغفار في هذه السورة لأنه قد ذكر هنا ما فرط منهم من الذنوب التى من جملتها جدالهم بالباطل وسنة الأولين هو أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا عذاب الإستئصال، والمعنى: أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته، وقال قتادة: في قوله (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) قال: عقوبة الأولين[3].

٩-قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[4].

المعنى الاجمالي

(سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) أي[5]: لا أزال أدعوا الله لك بالهداية والمغفرة بأن يهديك للإسلام الذي به تحصل المغفرة (إنه كان بي حفيا) رحيما رؤوفا بحالي معتنيا بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه فلما تبين له أنه عدو لله ترك الإستغفار له وتبرأ منه.

«بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب وذلك شأن الإيمان مع الكفر وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر.

---

١ - تفسير ابن كثير جـ٣ / ٨٦.
٢ - فتح القدير جـ٣ / ٢٩٦.
٣ - المرجع السابق.
٤ - مريم (٤٦، ٤٧).
٥ - تفسير بن سعدي جـ٣ / ٢٢٩.

ولم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) سلام عليك فلا جدال ولا أذى ولا رد للتهديد والوعيد... سأدعو الله أن يغفر لك فلا يعاقبك بالإستمرار في الضلال وتولي الشيطان بل يرحمك فيرزقك الهدى. فالذي يرجوه ابراهيم لأبيه هو تجنيبه الشقاوة وذلك من الأدب والتحرج الذي يستشعره فهو لا يرى لنفسه فضلا ولا يتطلع الى أكثر من تجنيبه الشقاوة»[1].

١٠ – قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون (٤٥) قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾[2].

المعنى الاجمالي

كانوا[3]: يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذ واستغفرنا – مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت، وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه، فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم، ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه.

قال السعدي[4]: (لولا تستغفرون الله) بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوا الله أن يغفر لكم. (لعلكم ترحمون)[5]: رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر، ووصف العذاب بأنه سيئة مجازا، إما لأن العقاب من لوازمه أو لأنه يشبهه في كونه مكروها.

---

١ – ظلال القرآن.
٢ – النمل (٤٥، ٤٦).
٣ – الكشاف جـ٣ / ٣٧٥.
٤ – تيسير الكريم الرحمن جـ٣ / ٥٧٣.
٥ – فتح القدير جـ٤ / ١٤٣.

١١- قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾(١).

المعنى الإجمالي

هذه الآيات الكريمات تقص علينا ما حدث لداود عليه السلام عندما تخاصم إليه الأخوين، وما حكم به داود للآخر قبل سماع مقولة الخصم فعلم داود بالفتنة وما حدث له فسجد خاشعاً لله تائباً مقراً بذنبه، فغفر الله له وقربه إليه وأعطاه حسن المآب وجنة النعيم.

(وظن داود) حين حكم بينهما (أنما فتناه) أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه (فاستغفر ربه) لما صدر منه (وخر راكعاً) أي ساجداً (وأناب) لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة (٢).

قال ابن العربي(٣): لا خلاف بين العلماء أن المراد بالركوع هنا السجود، فإن السجود والركوع هو الإنحناء وأحدهما يدخل في الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئة.

(فغفرنا له ذلك) الذي صدر منه وأكرمه الله بأنواع الكرامات فقال: (وإن له عندنا لزلفي) أي منزلة عالية وقربة منا (وحسن مآب) أي مرجع(٤).

١٢- قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾(٥).

---

١ - ص (٢٣، ٢٤، ٢٥).
٢ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٣٠١.
٣ - فتح القدير جـ٤ / ٤٢٧.
٤ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٣٠١.
٥ - غافر (٧).

المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن كمال لطفه بعباده المؤمنين وما قيضَّ لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم من استغفار الملائكة المقربين لهم ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم .

وهذه تسلية لرسول الله ﷺ[1] : ببيان أن هذا الجنس من الملائكة الذين هم أعلى طبقاتهم يضمون إلى تسبيحهم لله والإيمان به الإستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوه ، فهم ينزهون الله ملتبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال عنهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) فعلمك قد أحاط بكل شيء لا يخفى عليك منه خافية ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء[2]

(فاغفر للذين تابوا) أي اوقعوا التوبة عن الذنوب واتبعوا سبيل الله وهو دين الإسلام[3] واتباع رسلك بتوحيدك وطاعتك (وقهم عذاب الجحيم) أي احفظهم منه وقهم أسباب العذاب[4] .

قال الشيخ بن سعدي رحمه الله [5] (ويستغفرون للذين آمنوا) وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جداً ، أن الملائكة الذين يؤمنون بالله ولا ذنوب عليهم سيستغفرون لأهل الإيمان ، فالمؤمن تسبب لهذا الفضل العظيم ، ولما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم إلا بها ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة بذكر ما لا تتم إلا به .

١٣- قال تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [6] .

---

١ - فتح القدير جـ٤ / ٤٨٢ .
٢ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٣٦٣ .
٣ - فتح القدير جـ٤ / ٤٨٢ .
٤ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٣٦٣ .
٥ - تيسير الكريم الرحمن جـ٤ / ٣٦٣ .
٦ - الشورى (٥) .

المعنى الإجمالي

يخبر سبحانه وتعالى عن عظمته التى تكاد وتوشك السموات أن تتشقق وتتصدع من عظمته سبحانه، والملائكة يسبحون ويستغفرون للمؤمنين.

(العلى العظيم) الذي من عظمته (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) على عظمتها[1]. أي يتصدعن ويتشققن خضوعًا وخشية من الله تعالى وتعظيمًا وطاعة[2].

قال الضحاك والسدي[3]: يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهن.

(والملائكة) الكرام المقربون خاضعون لعظمته مستكينون لعزته مذعنون بربوبيته (يسبحون بحمد ربهم) ويعظمونه وينزهونه عن كل نقص ويصفونه بكل كمال (ويستغفرون لمن في الأرض) عما يصدر منهم عما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه[4]

قيل[5]: من عباد الله المؤمنين كما في قوله (ويستغفرون للذين آمنوا) وقيل[6]: الإستغفار بمعنى السعي فيما يستدعى المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعًا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وإن كانوا داخلين فيها دخولا أوليًا.

قال السعدي[7]: ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص في المؤمنين فكأنه يقول: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين. (إلا إن الله هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده فإن تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته[8].

---

١ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٤٢٦.

٢ - الجواهر الحسان جـ٣ / ١٨٣.

٣ - فتح القدير جـ٣ / ١٨٣.

٤ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٤٢٦.

٥ - فتح القدير جـ٤ / ٥٢٦.

٦ - تفسير بن سعدي جـ٤ / ٣٦٣.

٨،٧ - المرجع السابق.

(والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض)

والملائكة أهل طاعة مطلقة، فقد كانوا أولى الخلق بالطمأنينة ولكنهم دائبون في تسبيح ربهم لما يحسون من علوه وعظمته ولما يخشون من التقصير في حمده وطاعته. بينما أهل الأرض المقصرون الضعاف ينكرون وينحرفون، فتشفق الملائكة من غضب الله ويروحون يستغفرون لأهل الأرض مما يقع في الأرض من معصية وتقصير والملائكة كم يشفقون من أي معصية تقع في الأرض. حتى من الذين آمنوا وكم يرتاعون لها، فيستغفرون ربهم وهم يسبحون بحمده إستشعارا لعلوه وعظمته واستهوالا لأية معصية تقع في ملكه واستدرارا لمغفرته ورحمته وطمعا فيهما.

١٤-قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[١].

المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن عباده المتقين ومصيرهم في جنات النعيم، ثم الثناء عليهم من ربهم وتعداد صفاتهم أو بعضها التى أبلغتهم هذه المنزلة ومنها التقوى التى كانت شعارهم وطاعة الله في كل وقت وحين ودثارهم، فهم في جنات النعيم المشتملات على جميع أصناف الأشجار والفواكه والتى لا يوجد لها نظير مما لم تنظر العيون إلى مثله ولم يخطر على قلب بشر[٢].

قال الحسن البصري[٣]: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الإستغفار بسحر، وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس، كانوا لا ينامون إلا قليلا ثم يقول: لست من أهل هذه الآية.

---

١ - الذاريات (١٥، ١٨).

٢، ٣ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٩٠.

قال الزمخشري (١) : وصفهم سبحانه بأنهم يحيون الليل متهجدين ، فإذا أسحروا أخذوا في الإستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم.

قال السعدي(٢) : كان هجوعهم أي نومهم بالليل قليلا وأما أكثر الليل فإنهم قانتون لربهم ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء وتضرع ، (وبالأسحار) التي هي قبل الفجر (هم يستغفرون) الله تعالى فمدوا صلاتهم إلى السحر ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه ، وللإستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره.

قال الزمخشري(٣) : (هم يستغفرون) أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالإستغفار دون المصَرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه.

قال ابن الجوزي (٤) : يأخي علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب ويبدأ الليل فلوات الخلوات لما ستروا قيام الليل في ظلام الدجى غيرة أن يطلع الغير عليهم، سترهم سبحانه بستر (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) لما صفت خلوات الدجى ونادى أذان الوصال أقم فلانًا وأنم فلانًا خرجت بالأسماء الجرائد وفاز الأحباب بالفوائد وأنت غافل راقد، آه لو كنت معهم أسفًا لك لو أبصرت لرأيت طلائع الصديقين في أول القوم وشاهدت ساقة المستغفرين في الركب وسمعت استغاثة المحبين في وسط الليل ..... يا طويل النوم فاتتك مدحة تتجافي وحرمت منحة (المستغفرين) يا هذا إن لله تعالى ريحًا تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الدعاء والأنين والإستغفار الى حضرة العزيز الجبار. فهذا الفريق فريق المتقين الأيقاظ الشديدي الحساسية برقابة الله لهم ورقابتهم هم لأنفسهم هؤلاء (في جنات وعيون) (آخذين ما آتاهم ربهم) من فضله وإنعامه جزاء ما أسلفوا في الحياة

---

١ - الكشاف جـ٤ / ٤٠٢ . ٢ - تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٩١ .
٣ - الكشاف جـ / ٤٠٢ . ٤ - الجواهر الحسان جـ٣ / ٢٧٨ .

الدنيا من عبادة لله كأنهم يرونه ويقين منهم بأنه يراهم (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام المتوجهون إلى ربهم بالإستغفار والإسترحام لا يطمعون الكرى إلا قليلا ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيرا، يأنسون بربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام، فهذه حالهم مع ربهم فأما حالهم مع الناس وحالهم مع المال فهو مما يليق بالمحسنين (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم).

١٥- قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[١].

المعنى الإجمالي

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمعاداة الكفار ومجانبتهم وآلهتهم والتبري منهم ومنها (قد كانت لكم أسوة حسنة) يا معشر المؤمنين لكم قدوة صالحة في ابراهيم عليه السلام (والذين آمنوا معه) من المؤمنين لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا (اذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله) أي[٢]: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح فقالوا (كفرنا بكم وبدا) أي: ظهر وبان (بيننا وبينكم العداوة والبغضاء) أي: البغض بالقلوب وزوال مودتها والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولاحد بل ذلك (أبدًا) ما دمتم مستمرين على كفركم. أي[٣]: شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما

---

١ - الممتحنة. ٢ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٢١٤.

٣ - تفسير ابن كثير جـ٤ / ٣١٣.

دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

(حتى تؤمنوا بالله وحده) أي[1]: فإذا آمنتم بالله وحده زالت العداوة والبغضاء وانقلبت مودة وولاية فلكم أية المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد ولوازم ذلك ومقتضياته وفي كل شيء تعبدوا به الله وحده. (إلا) في خصلة واحدة وهي (قول إبراهيم لأبيه) آزر[2]: المشرك، الكافر المعاند حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد فامتنع فقال إبراهيم له (لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) ولكني أدعو ربي عسي أن لا أكون بدعاء ربى شقيًا. فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التى دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين وتقولوا إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، وأعترفوا بالعجز والتقصير فقالوا (ربنا عليك توكلنا) أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا ووثقنا بك يا ربنا في ذلك (إليك أنبنا) أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك فنحن في ذلك ساعون وبفعل الخيرات مجتهدون ونعلم أنا إليك نصير فسنستعد للقدوم عليك ونعمل ما يزلفنا إليك[3].

١٦- قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[4].

١، ٢ تفسير بن سعدي جـ٥ / ٢١٥.

٣ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٢١٥.   ٤ - المنافقون (٦،٥).

المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن المنافقين وإستهزائهم بدين الله واعراضهم عن رسول الله واستغفاره لهم (وإذا قيل لهم تعالوا) أي للمنافقين المظهرين للإيمان المبطنين للكفر (تعالوا يستغفر لكم رسول الله) عما صدر منكم لتحسن أحوالكم وتقبل أعمالكم امتنعوا من ذلك أشد الإمتناع[١] .

وصدوا واعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم[٢] .

(لووا رؤسهم) أي[٣] : حركوها استهزاء بذلك، قال مقاتل : عطفوا رؤوسهم رغبة عن الإستغفار . قلت وهذا من خذلان الله لهم وفساد قلوبهم وإلا فمن ذا الذي يرغب عن إستغفار الرسول له .

(ورأيتهم يصدون) أي[٤] : يعرضون عن قول من قال لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، أو يعرضون عن رسول الله ﷺ .

(ورأيتهم يصدون)[٥] عن : الحق بغضاً له (وهم مستكبرون) عن اتباعه بغياً وعناداً فهذا حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله حيث لم يأتوا إليه فيستغفر لهم فإنه (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وذلك لأنهم قوم فاسقون خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول لو استغفر كما قال تعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) (إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) . أي :[٦] الإستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق .

---

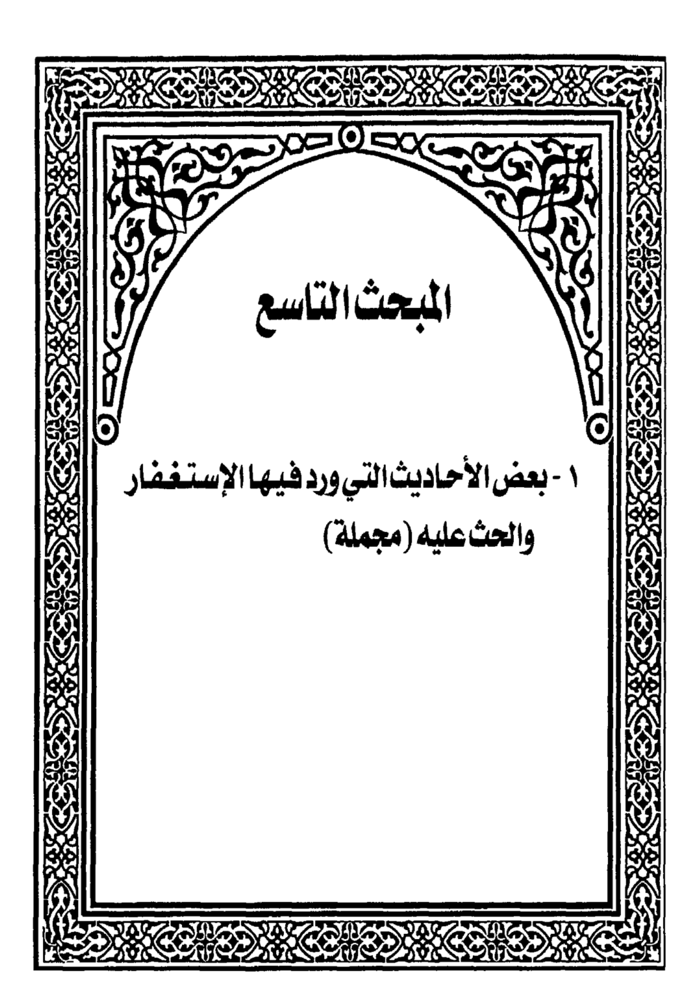
١ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٢٣٨ .

٢ - تفسير ابن كثير جـ٤ / ٣٣٢ .

٣ ، ٤ - فتح القدير جـ٥ / ٢٣١ .

٥ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٢٣٨ .

٦ - فتح القدير جـ٥ / ٢٣١ .



المبحث التاسع

١ - بعض الأحاديث التي ورد فيها الإستغفار والحث عليه (مجملة)

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: - «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابنْ آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وحسن إسناده الألباني.

٢- وفي صحيح مسلم والترمذي وابن ماجة وغيره «يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من اعفيت، فاستغفروني أغفر لكم». وفيه «ومن استغفرني وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له، غفرت له ولا أبالي».

٣- روى الإمام أحمد والحاكم - وقال صحيح الإسناد - عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «قال إبليس: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. قال: وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني».

٤- روى أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من لزم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب».

٥- روى ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول «طوبي لمن وجد في صحيفته إستغفارًا كثيرًا».

٦- عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

٧- روى البيهقي بإسناد لا بأس به عن البراء رضي الله عنه مرفوعًا «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الإستغفار».

٨- حديث سيد الإستغفار الذي ألف فيه العلماء وشرحه الشارحون فهو حديث عظيم سُمي بسيد الإستغفار لأنه قد فاق سائر صيغ الإستغفار في الفضيلة وارتفع عليها، وقال فيه الحافظ السيوطي: لما كان الدعاء جامعًا لمعاني التوبة، استعير له السيد. وأفضل ما قيل فيه كتاب نتائج الأفكار بشرح سيد الإستغفار للإمام محمد السفاريني وشرحه الإمام ابن القيم في كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين وعلق عليه كثير من العلماء والجهابذة.

سيد الإستغفار رواه البخاري من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الإستغفار أن يقول اللهُم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال «ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(٣).

٩- روى الطبراني في الكبير بسند حسن، وأبن ابي الدنيا والبيهقي، عن سخبرة رضى الله عنه رفعه «ومن أعطي فشكر وابتلي فصبر، وظلم فاستغفر وظلم فغفر، أولئك لهم الأجر وهم مهتدون».

١٠- روى بلال بن يسار بن زيد قال: حدثني أبي عن جدي، أنه سمع النبي ﷺ يقول «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. غفر له وإن كان فر من الزحف» رواه ابو داودوالترمذي وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

١١- عن ابي هريرة رضي الله عنه، قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: إستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ»، رواه النسائي وابن السني وابن حبان وغيره.

١٢- وفي صحيح مسلم (أنه كان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم «اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت . وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

١٣- عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار فإني رايتكن اكثر أهل النار ...» رواه مسلم.

١٤- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه) متفق عليه.

١٥- روى مسلم في صحيحه في باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ «إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم ...... الحديث الى أن قال «قالوا ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ...» الحديث.

١٦- وعن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إنه ليغان على قلبي، وأني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» رواه مسلم واحمد وابو داود.

قال أهل اللغة (٣): الغين والغيم هو الذي يغشى القلب، وقال بعضهم هي السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى (فأنزل الله سكينته على رسوله) والسكينة فعيلة من السكون الذي هو الوقار وفقد الحركة ويكون الإستغفار إظهاراً للعبودية والإفتقار وملازمة الخضوع وشكراً لما أولاه مولاه، وقال القاضي عياض: ويحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون إستغفاره شكراً. وقيل كان عليه الصلاة والسلام في ترق من مقام إلي مقام فإذا ارتقي من المقام الذي كان فيه إلي مقام أعلى

استغفر من المقام الذي كان فيه. وقيل: هو همه بسبب أمته وما أطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم.

وقيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبًا فاستغفر منه.

١٧- وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

١٨- روى ابن السني عن ابي امامة مرفوعًا «ما جلس قوم في مجلس فخاضوا في حديث واستغفروا الله عز وجل قبل أن يتفرقوا إلا غفر لهم ما خاضوا فيه».

١٩- روى الترمذي وصححه النسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها وإن زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

٢٠- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» رواه ابو داود وابن حبان والحاكم».

٢١- وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلي السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له ....» الحديث.

٢٢- عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته «اللهم أني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن

عبادتك وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب» خرجه الترمذي والنسائي وأحمد وإسناده ضعيف.

٢٣- قال علي رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا قام إلي الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحيائي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي أنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب اليك» رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: إن هذا الدعاء كان يقوله في صلاة الليل.

٢٤- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا اساءوا استغفروا». رواه البيهقي في الشعب وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ورواه القزويني.

٢٥- روى الأمام احمد بإسناد صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول: بإستغفار ولدك لك.

٢٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو

اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقد تضمن هذا الحديث العظيم ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة وهي :

١- الدعاء مع الرجاء وهما سبب مقتضي للإجابة مع شروط الإستجابة (إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي».أي لا يتعاظم الخالق سبحانه الذنوب والخطايا مهما كثرت، لان عفو الله ومغفرته أعظم منها.

٢- الإستغفار وهو سبب موجب لمغفرة الذنوب مهما كثرت حتى ولو بلغت عنان السماء، ثم استغفر منها العبد ربه بقلب صادق منكسر ذليل غفرها الله سبحانه وتعالى (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك».

٣- التوحيد لله وهو السبب الأعظم لحصول المغفرة ومخالفته سبب أعظم في الخلود في النار وعدم حصول المغفرة قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١).

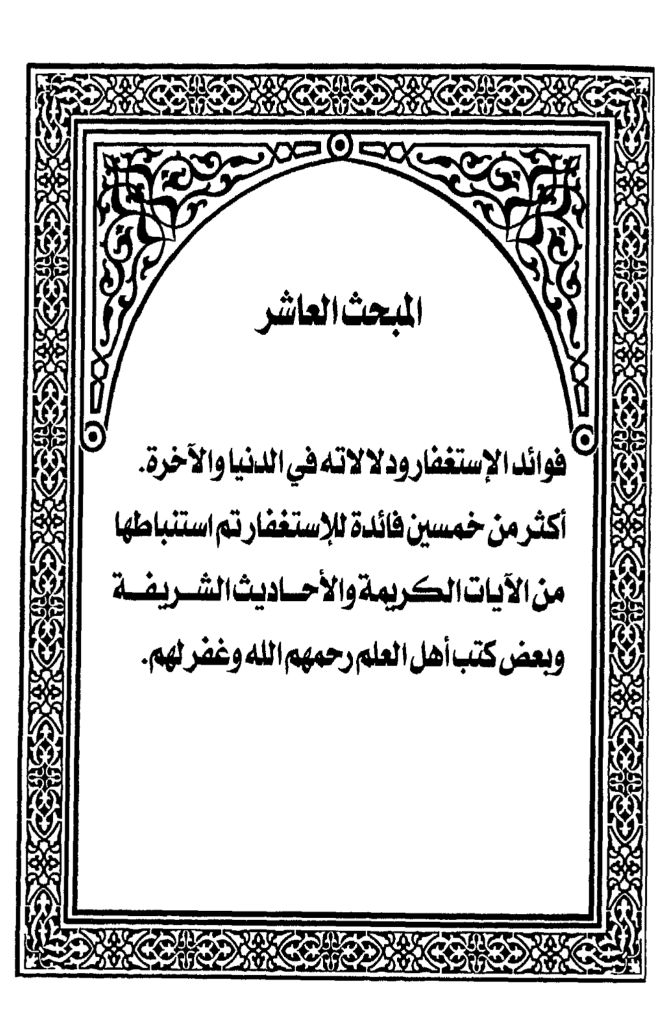
«يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

٢٧- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال: رسول الله ﷺ «ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوث، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق، فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال وإن هدية الأحياء إلى الأموات الإستغفار لهم» رواه البيهقي وأشار الألباني بأنه ضعيف.

٢٨- عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

٢٩- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك: قالت فقلت: يارسول الله أراك تكثر من قولك سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك؟ فقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك فقد رأيتها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

هذه بعض أحاديث المصطفي ﷺ التي تحث على الإستغفار وتبين أهميته وكل حديث لو أفرد له شرحًا لخرج سفرًا كبيرًا. ولكني أحببت الإشارة اليها. وقد الف العلامة محمد السفاريني كتابًا كبيرًا في حديث واحد منها سماه «نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الإستغفار ولعل الله سبحانه وتعالى يطيل في العمر ويبارك فيه ويهيئ الفرصة لإخراج كتيب بشرح هذه الأحاديث وإستخراج الدرر والفوائد منها، إنه ولي ذلك والقادر عليه».



المبحث العاشر

فوائد الإستغفار ودلالاته في الدنيا والآخرة.

أكثر من خمسين فائدة للإستغفار تم استنباطها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وبعض كتب أهل العلم رحمهم الله وغفر لهم.

فوائد الإستغفار ودلالاته

١- يعود العبد على الشعور الدائم بالإعتراف بالذنب والتقصير بعدم إكمال العبادة ويرى أنه لم يكملها على وجهها المطلوب، والإقلال من الإستغفار يدعوا إلى التفاخر والعجب بالعبادة وكأنه يمنّ بها على ربه وصاحب هذا الشعور حقيق بالمقت ورد عمله مهما كان. أما المكثر من الإستغفار فهو حقيق بالقبول عند الله وموفق لأعمال صالحة أخرى.

٢- الإستغفار يجدد الحياة ويسّمح الخواطر ويزيل ما يعلق بالقلوب من آثار الحوادث والنكبات وينّور الفكر، الم ترى كيف أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بعد معركة أحد ومخالفة بعض صحابته رضى الله عنهم لأوامره بعدم ترك مواقعهم فلما صار منهم ما صار رضي الله عنهم، أمره الله بقوله ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ فهي ثلاثة أوامر إلهية صادرة لرسول الأمة مع ما بدر منهم ولكنها الرحمة الربانية والعطف النبوي، يستغفر لهم الرسول على ما بدر منهم في حقه من التقصير، فهذا الإستغفار لهم أنساهم ومسح ما بهم من أثر تلك المخالفة فتجددت حياتهم وأقبلوا راضين النفوس سمحين الخواطر رضي الله عنهم وأرضاهم.

٣- يزيل الإستغفار ما خالط العبادات من تقصير أو مخالفات يسيرة، كخواطر النفس أو حتى منطق باللسان كالذي يحدث من الحاج من الرفث والفسوق والجدال، وأمور الجاهلية التي علقت بالحج والتصورات الخاطئة، فكثرة الإستغفار في الحج يمسح أثر ذلك بفضل الله ورحمته.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

---

١ - البقرة (١٩٩).

٤- تؤدي ملازمة الإستغفار والإكثار منه إلى غفران الذنوب بإذن الله لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : أي يغفر الذنب العظيم لمن استغفره وتاب إليه وأناب[١].

٥- تؤدي ملازمة الإستغفار للتوفيق للعمل الصالح الموجب للثواب المبعد عن العقاب لأن الإستغفار حسنة، والحسنة تقود الى أختها من الحسنات وهذا من توفيق الله وكرمه.

٦- كثرة الإستغفار تؤدي إلى نظافة القلب وطهارته من الأدران المعنوية.

وتجعله خصبًا للعمل الصالح منقاداً لطاعة الله بعيداً عن نواهيه لقوله ﷺ «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.

٧- الإستغفار يحفظ الصحة ويزيد القوة ويذهب الوهن والعجز النفسي ويريح الضمير ويهدى الأعصاب ويزيد السلطان والحجة. قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[٢] وزيادة القوة تشمل كل ما يطلق عليه قوة، في الجسم والحواس والفهم والذكاء وكل شيء.

٨- كثرة الإستغفار تزيد الثقة بالله وبرحمته وتجعل الإنسان قريبًا من ربه قوي الصلة به، فتحصل له المغفرة والرحمة، كان ﷺ إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبي وأسزلك رحمتك».

٩- كثرة الإستغفار تجلب الرزق وتسهل طرقه وتفتح أبواب الخير لقوله ﷺ: «من لزم الإستغفار... ورزقه من حيث لا يحتسب».

---

١ - تفسير بن سعدي جـ١ / ٤٤٤.

٢ - هود (٥٢).

١٠- الإستغفار يسهل جميع الأمور وييسرها ويسخر من يقوم بها، ويحفظ شأن العبد ومهابته.

١١- الإستغفار يذهب الهموم وينفس الكروب. وفي الحديث (من لزم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب).

١٢- تؤدي ملازمة الإستغفار إلى تتابع الخير وعدم إنقطاعه ونزول المطر وكثرته وخصوبة الأرض وإدرار الضرع قال تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾(١) الآية.

١٣- الإستغفار يزيد في العمر ويجعله مباركًا ماتعًا بكل خير قال تعالى ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٢)

١٤- الإستغفار ينجي صاحبه من أهوال يوم القيامة المفزعة قال تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إليه﴾. إلى قوله ﴿وإن تولو فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير. الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾(٣).

١٥- الإستغفار يضاعف الحسنات ويمحوا السيئات ويرفع الدرجات قال تعالى «وأن إستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله»، قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى «ويؤت كل ذي فضل فضله» قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات(٤) والإستغفار من أعظم الحسنات وأزكاها.

١٦- ملازمة الإستغفار سبب في المتاع الحسن في الدنيا. والمتاع الحسن يشمل كل مطالب الدنيا من زوجة واولاد ومسكن ومركب وكل ما يمتع به الإنسان نفسه حسب شرع الله.

---

١ - هود (٥٢).
٢ - هود (٣).
٣ - هود (٣،٤).
٤ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٩٦.

١٧- الإستغفار يزيد شفافية القلب ويجعله أكثر إحساسًا وتأثرًا ورغبة في التوبة وقبولاً للحق وفي الحديث... «فإن تاب ونزع واستغفر صقل...».

١٨- المكثر من الإستغفار والتوبة قريب من الله حريّ باجابة إستغفاره ودعوته قال تعالى ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(١).

١٩- المستغفر قريب من رحمة الله ومحبته ولطفه من تقريب الخير ودفع الشر، رحيم ودود بالمستغفرين التائبين قال تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(٢).

٢٠- الإستغفار سبب في إزالة ما يعلق بالقلب من سواد وما قد يحصل عليه من الران والذنوب والمعاصي لقوله ﷺ «إنه ليغان على قلبي وإني لا ستغفر الله...»(٣).

٢١- يجلب محبة الله سبحانه وتعالى وكفى بها نعمة وفضل لقوله تعالى «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»(٤) والمقصود بالتوابين المستغفرين.

٢٢- الإستغفار يكفر السيئات ويرفع الدرجات وفي الحديث أن النبي ﷺ قال «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك»(٥).

٢٣- كثرة الإستغفار تزرع في النفس تكميل مقام الذل والإنكسار والتصاغر لله سبحانه وتعالى وهذه الطريقة تعري النفس من العجب بالعمل وهذه درجة عالية من كمال العبودية لله، أما ترك الإستغفار والتوبة أو التقليل منه ففيه تزكية للنفس بالصلاح والإستقامة وربما شمخ العبد بأنفه وظن أنه وأنه(*).

---

١ - هود (٦١).   ٢ - هود (٩٠).

٣ - مسلم جـ١٧ / ٢٣.   ٤ - البقرة (٢٢٢).

٥ - مسند أحمد جـ٢ / ٥٠٩ بإسناد حسن.

(*) نجمة * من رقم ٢٣ إلى ٢٧ مقتبسة من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين.

٢٤- كثرة الإستغفار والتوبة تعلم الإنسان قبول المعذرة والإعتذار من الناس لان الله يقبل توبة وإستغفار عبده فكيف بخلق الله لأنه يعامل عباد الله في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يجب أن يعامله الله به لأن الجزاء من جنس العمل فيعمل في ذنوب الخلق معه ما يحب أن يصنعه الله بذنوبه ولذلك يقبل معاذير الخلائق وتتسع رحمته لهم مع إقامة أمر الله فيهم رحمة بهم.

٢٥- كثرة الإستغفار والتوبة تزيد الخشية لله في القلب فتجعله شفافًا باكيًا مشفقًا سريع التأثر دائم الندم.

٢٦- المستغفر دائمًا يتقال عمله لأنه يعلم أن كمال العبادة لله أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى.

٢٧- كثرة الإستغفار تذهب أمراض القلب المزمنة وتزرع حلاوة الطاعة فيه وتقرب من الرب وتبعد الإنسان عن الوحشة وتشوقه للقاء ربه ووعده.

٢٨- الإستغفار يكفر الكبائر من الذنوب كالفرار من الزحف لقوله ﷺ «من قال إستغفر الله العظيم الذي لا إله الإ هو الحي القيوم وأتوب اليه، غفر الله له وإن كان فر من الزحف»[١].

٢٩- الإستغفار يجلب النوم ويهدى النفس الثائرة ويذهب القلق ووساوس الشيطان وقد كان ﷺ إذا استيقظ من النوم ليلاً قال «... أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك».

٣٠- الإستغفار يشفع للميت ويوجب له التثبيت عند السؤال في القبر والرحمة ويخفف عنه العذاب بإذن الله لحديث عثمان رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ إذا فرع من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وآسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل»[٢].

---

١ - أبو داود جـ٢ / ٨٥ والترمذي جـ٥ / ٥٦٩ والألباني.

٢ - رواه البيهقي بإسناد حسن ورواه أبو داود.

٣١- الإستغفار يجلب محبة الله سبحانه وتعالي ومحبة عباده ويزرع الود بين المسلمين للحديث الذي اخرجه ابن السني «اذا التقي المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما».

٣٢- الإستغفار وكثرته تيسر على المسافر سفره وتقيه شر السفر وتحفظ أهله وماله عند سفره.

٣٣- إذا جمع بين الإستغفار للذنب والتسبيح بحمد الله وكان في وقت العشي والإبكار فهو حري بالإجابة وشيك بالإستجابة وهذا في حد ذاته تربية للنفس وتطهير للقلب وبهذا يتم الإنتصار على النفس أولا ثم يعقب ذلك الصورة الأخرى من النصر في واقع الحياة. قال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(١).

٣٤- كثرة الإستغفار تجعل الإنسان دائماً يرى أنه ليس له على أحد من عباد الله فضلا ولا له على أحد حقًا لأنه لا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أن هناك من هو خير منه وأكثر عملا واخلاصًا لله وطاعة. بينما المقل من التوبة والإستغفار لا يزال عاتبًا على الخلق شاكيًا ترك قيامهم بحقه ساخطًا عليهم وهم عليه أسخط.

٣٥- كثرة الإستغفار والتوبة تجعل الإنسان يكف عن عيوب الناس والفكر فيها والتحدث بها فهو دائم الشغل بعيبه وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس.

٣٦- المستغفر دائم الإحسان الي الناس كثير الإستغفار لإخوانه المؤمنين، كثير قول: رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات، فيعلم أن إخوانه بحاجة الي

---

١ - غافر (٥٥).

الإستغفار والتوبة فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم يجب عليه كذلك أن يستغفر هو لأخيه المسلم قال تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ .

٣٧- المستغفر ذاكر لله تعالى وهذا يورث ذكر الله تعالى للعبد كما قال تعالى «فاذكروني أذكركم» قال ابن القيم ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفي بها فضلا وشرفًا .

٣٨- الإستغفار يورث جلاء القلب من صدائه وكل شيء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والإستغفار .

٣٩- الإستغفار يحط الخطايا ويذهبها وهو من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .

٤٠- الإستغفار يوجب شفاعة الملائكة للمستغفر ودعائها له قال تعالى ﴿ الَّذين يحْملُون الْعَرْش ومَنْ حوْلَهُ يُسبّحُون بحمْد ربّهمْ ويُؤْمنُون به ويَسْتغْفرُون للّذين آمنُوا ﴾ .

٤١- كثرة الإستغفار من ذكر الله تعالى وهذا أمان من النفاق لأن المنافقين قليلو الذكر والإستغفار «ولا يذكرون الله إلا قليلا» . وقال كعب : من أكثر من ذكر الله عز وجل بريء من النفاق .

٤٢- الإستغفار قرين العلم وبهما يعلو العبد في الدنيا ويصل للدرجات العليا من الجنة في الآخرة ، فالعالم الرباني دائم الإستغفار كثير التوبة رجاع الي الله ، قال تعالى ﴿ فَاعلَمْ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفرْ لذَنْبكَ ولَلْمُؤْمنينَ والْمُؤْمنَاتِ وَاللَّهُ يعْلَمُ مُتقَلَّبَكُمْ ومَثْواكُمْ ﴾(١) .

---

١ - محمد (١٩) .

٤٣- لا يفيد الإستغفار مع النفاق الإعتقادي مهما كان وممن حتى لو كان من أفضل البشر ﷺ قال تعالى عن طلب المنافقين للإستغفا وهم كاذبون ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾(١)

٤٤- ملازمة الإستغفار سبب في تواصل سقوط الأمطار وكثرة الرزق وإخصاب الأرض وإنبات الزرع وإدرار الضرع وكثرة الأموال والخيرات والأولاد ودوام للثمار في الجنات وسبب في عدم غور الماء وجفاف الأنهار. قال تعالى ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(٢).

٤٥- الإستغفار يرقع التقصير في العبادة وفي كل أمر لم يفعله العبد أو يفعله علي وجه ناقص ففي أية المزمل الطويلة ذكر وحث على الإستغفار بعد قراءة القرآن والجهاد ومقاتلة الأعداء وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإقراض الناس قرضًا حسنًا بعد هذه الأعمال الصالحة قال تعالى ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

٤٦- الإستغفار وملازمته سبب في النصر للدين والنصر لهذه الأمة وخاصة إذا كان هذا الإستغفار من الرسول ﷺ أو خلفاؤه الراشدين أو علماء الأمة وعبادها، قال السعدي رحمه الله(٤): في تفسير سورة النصر، إشارة أن النصر يستمر للدين ويزداد هذا النصر عند حصول التسبيح بحمد الله وإستغفاره من رسوله ﷺ لأن هذا من الشكر، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمراً حتى وصل الإسلام الي ما لم يصل إليه دين من الأديان ودخل فيه من لم يدخل في غيره.

١- الفتح (١١). ٢- نوح (١٠، ١١، ١٢).
٣- المزمل (٢٠). ٤- تيسير الكريم الرحمن جـ٥ / ٤٣٩.

٤٧ - الإستغفار والإكثار منه بصدق سبب في حماية الأمة كجماعة وحماية الأفراد من العذاب والإستئصال الجماعي، ومانع يمنع وقوع العذاب وسياج منيع ضده مع إنعقاد أسباب العذاب ولو لم يكن من فوائده إلا هذه لكفت، حتى كفار قريش مع مقولتهم الظالمة الشنيعة وجهلهم وعنادهم وقبح تصرفهم في قولهم ﴿ اللَّهُمَّ إن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١]. مع سخف هذه المقالة وخطرها، التى قالوها على رؤوس الأشهاد إلا أنهم كانوا يخافون من وقعها فيهم فيستغفرون وثبت أنهم لما أمسوا ندموا على ما قالوا فرجعوا وقالوا غفرانك اللهم. وثبت عن ابن عباس[٢] : أنه قال كان فيهم أمانان النبي ﷺ والإستغفار فذهب النبي وبقي الإستغفار، وقال جُعل في هذه الأمة أمانين لايزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ماداما بين أظهرهم، فأمان قبضه الله إليه وأمان بقي فيكم. وروى الترمذي عن أبي بردة قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل الله علي أمانين لأمتي فإذا مضيت تركت فيهم الإستغفار الي يوم القيامة [٣].

وروي الأمام أحمد عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل»[٤].

فما أسهل ذلك الأمان من العذاب الدنيوي والآخروي على من سهله الله وعلى الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات أن تتذكر هذا الأمان من العذاب وتلهج به وتعمل بمقتضاه فالحمد لله على رحمته ولطفه بعباده قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٥]. فهذه الآية في حق مشركي قريش وهم عتاولة الكفر ورؤوس الشرك ومع ذلك يتلطف لهم الخالق سبحانه ويعطيهم

١ - الأنفال (٣٢).
٢ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٢٨٠.
٣ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٢٨٠.
٤ - تفسير بن سعدي جـ٥ / ٤٣٩.
٥ - الأنفال (٣٣).

الأمان من العذاب فكيف بالموحدين المؤقنين وإن عملوا المعاصي وتلطخوا بأوحال الذنوب، فهذا الأمان (الإستغفار) من العذاب نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

٤٨-الإستغفار كنز عظيم وعمل جليل فهو يفيد وينفع ويشفع لصاحبه وللمستغفر له حتى بعد موته فإبراهيم استغفر لأبيه ولكن عندما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وترك الإستغفار له ولولا أنه من أصحاب الجحيم ومات على الشرك لنفعه استغفار الخليل عليه السلام، وكذلك نبينا محمد ﷺ.

استأذن ربه في الإستغفار لوالديه فلم يأذن له، وهذا يدلل أن الإستغفار يفيد بعد الممات، ولو كانا والديه موحدين لنفعهما الإستغفار والدعاء لهما ولكن الله نهى نبيه عن الإستغفار لهما لأنهما ماتا مشركين، ولكنها وشيجة العقيدة وصلة الدين فوق كل صلة ومنها تنبع الصلات والوشائج وبدونها لا صلة ولاقرابة حتى الإستغفار للموتى من المشركين نهينا عنه ولو كانوا أقارب في النسب والصهر لكي تبقى قضية الموالاة قائمة وتستمر عقيدة المعاداة والبراءة من المشركين لأنهما ركنان أساسيان من ديننا الحنيف. وعن ابن عباس قال[1]: في قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) أن النبي ﷺ أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال (أن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه) فأنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه).

وقال قتادة في الآية[2]: ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي الذمم أفلا تستغفر لهم؟ قال: فقال النبي ﷺ (بلى والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[3].

---

١ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٥٧.

٢ - تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٥٧.

٣ - التوبة (١١٣).

٤٩- الإستغفار يجلب الرحمة وينزل الهداية في القلوب ويرسخ الإيمان بالله فكل رسل الله دعوا قومهم الي الإستغفار من الشرك والذنوب والمعاصي فهذا صالح عليه السلام يدعوا قومه الي الإكثار من الحسنات وترك السيئات وعدم الإستعجال بالعذاب والإستغفار فهو جالب لهم الرحمة من الله وعدم العذاب قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

٥٠- الإستغفار بصدق وإنابة يغفر الذنب مهما كان ويرفع المنزلة في الآخرة ويقرب الى الله يوم القيامة ويجعل مآب الإنسان الجنة باذن الله ورحمته، ويصلح حال الإنسان مع ربه، كما حدث لنبي الله داود عليه السلام وما قصه علينا من لطفه به وتوبته وإنابته وأنه ارتفع محله فكان بعد التوبة والإستغفار أحسن حالا منه قبلها. قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾(٢).

٥١- الإستغفار حاجة ماسة لعباد الرحمن في هذه الدنيا وفي الآخرة فالملائكة التي تحمل العرش دائمي الإستغفار للمؤمنين، فهم أفضل أجناس الملائكة وأكبرهم وأعظمهم وأقواهم ومع ذلك هم في استغفار دائم للمؤمنين وهذا يبين أهمية الإستغفار ومنزلته وحاجة العبد الماسة إليه لكي يبلغ الجنة ويقى عذاب الجحيم، وهذا ولا شك من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جداً وهذا شرف عظيم للمؤمنين أن قيض الله لهم من يستغفر لهم بظهر الغيب، قال تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾(٣).

---

١ - النمل (٤٥، ٤٦). ٢ - ص (٢٤، ٢٥).
٣ - غافر (٧).

٥٢- المكثر من الإستغفار وخاصة بعد الذنب تشبه بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين كآدم وغيره، وأما إذا أصر واحتج بالقدر وترك الإستغفار والتوبة فقد تأسى بالأشقياء كإبليس ومن اتبعه من الغاوين.

٥٣- الإستغفار سبب في بياض القلب وصفائه ونقائه، والمكثر من الإستغفار أبيض القلب صافي السريرة نقي المعدن، لأن الذنوب تترك آثراً سيئاً وسواداً على القلب كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه وذاك الران الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾[٤] [٥].

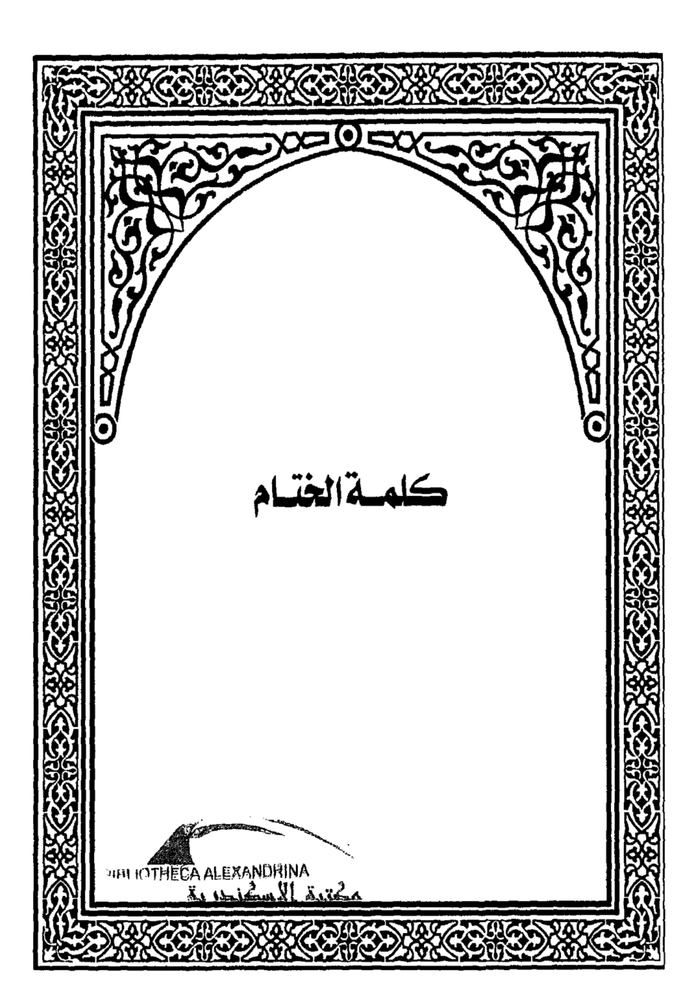
فالإستغفار سبب لإزالة ما قد علق بالقلب من سواد وما قد ران عليه من الذنوب والمعاصي.

أخي الحبيب: هذه ما استطعت أن أجمعها عن فوائد الإستغفار وهذا ما أحاطت به معرفتي وجهدي وإلا فالمجال واسع وكبير ويحتاج لباحث متمكن وغواص ماهر وطالب علم جاد، والله أسأل أن يغفر لي خطئي وزللي وكل ذلك عندي، سبحانك اللهم أستغفرك وأتوب إليك.

---

١ - أخرجه أحمد الترمذي بإسناد حسن.

٢ - المطففين (١٤).



كلمة الختام

الخاتمـــة

الحمـد لله عز جـاهه وجل ثناؤه وتقـدست أسمـاؤه، وصلى الله وسلم على معلم البشرية وأنصح عباد الله لعباد الله. محمد بن عبدالله ﷺ وبعد : -

فمن فضل الله عليّ ونعمته أن وفقني لكتابة وجمع مادة هذا الكتيب وسخر لي الأمور فله الحمد والمنة وأسأل الله العظيم بوجهه الكريم وسلطانه القديم، أن يجعل هذا الكتيب بين وجهي والنار يوم القيامة. وأن يجعله مثقلاً للحسنات ماحياً للسيئات مدافعاً عن الأنامل الكاتبات والعينين الناظرات وعن جميع الجوارح المذنبات، وأسأل الله العظيم أن تكون النية فيه خالصة لله سبحانه، والعمل صحيحاً يغلب صوابه على خطئه يا كريم.

أخي العزيز جرب الإستغفار واستعن به وسوف ترى عجائب في حياتك ما تعودتها من قبل وهي تجربة محققة النجاح بإذن الله، جربها كثير من الفضلاء والعلماء، فهذا ابن تيمية يقول، كانت تشكل علي المسئلة فاستغفر الله الف مرة أو أكثر أو أقل فيفتح الله لي وقد أكون في المدرسة أو السوق أو غيره، أخي العزيز عوّد وأكثر والهج بالإستغفار في كل وقت وحين عند ذلك تنزل البركات وترفع الدرجات وتحل المشكلات.

وأخيراً ما كان في كتابي من صواب فهو من الرحمن وما كان فيه من نقص وخطأ وما أكثره فهو من نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان وأحسب أني غير قاصداً له. وأخيراً أسأل الله العظيم أن يغفر لي ولوالدي ولذريتي ولجميع المسلمين، سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك.

مراجع البحث

١- القرآن العظيم

٢- تصنيف آيات القرآن الكريم، محمد محمود إسماعيل، دار اللواء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. (الجزء الثالث)

٣- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي مكتبة الأوس المدينة المنورة، دار الصفا بالزقازيق.

٤- تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، راجعه ونقحه خالد محمد محرم.

٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي.

٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم بجدة، الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٠-طريق الهجرتين وباب السعادتين، الإمام ابن القيم الجوزية، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عمر بن محمود ابوعمر، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م.

١١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام ابن القيم الجوريه، دار الحديث.

١٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

١٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام احمد بن علي العسقلاني، دار المعرفة، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا - الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله.

١٤- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٥- سنن ابي داود، الإمام ابوداود سليمان بن الأشعث بن اسحاق، علق عليه الشيخ احمد سعد علي، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٦- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، الإمام يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، شرح العلامة ابن علان، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٧- المنجد الأبجدي، دار المشرق بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.

١٨- نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الإستغفار، العلامة محمد بن احمد السفاريني، حققه عبدالعزيز الهبدان وعبدالعزيز الدخيل، دار الصميعي الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٩- الإستغفار أهميته وحاجة العبد إليه، رسالة لشيخ الإسلام ابن تيميه، اعتني به فواز زمرلي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٠- الإستغفار، مصطفي العدوي، دار ماجد عسيري جدة، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٢١- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيميه، حققه وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٢- الحسنة والسيئة، شيخ الإسلام ابن تيميه، دراسة وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٣- مجموعة التوحيد، مجموعة من العلماء، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير عيون، راجعه عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان ١٤٠٧هـ.

٢٤- تزكية النفس، سعد محمد الطخيس، مراجعة د. إبراهيم الفايز، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٥- ذم الهوى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.

٢٦- حسن الظن بالله، ابن ابي الدنيا، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم الجوزيه، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٩هـ.

٢٨- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، محمد بن محمد سليمان، الجزء الثاني، ١٣٨١هـ.

٢٩- غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، محمد بن احمد السفاريني، الجزء الثاني ١٣٩٣هـ.

٣٠- منهل الواردين شرح رياض الصالحين، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠م.

٣١- الكلم الطيب، ابن تيميه من أذكار النبي ﷺ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان دمشق، ١٣٩٩هـ.

٣٢- صحيح الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، اختيار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٣- البحر الرائق في الزهد والرقائق، جمع وترتيب أحمد فريد، مكتبة الصحابة جدة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

ينفس الكروب يجلب النوم يزيد الخشية يدفع القلق يشفع للميت

يحفظ المسافر وأهله

وساوس الشيطان

سبب في محبة الله

يجنب الهم والحزن

يجنب اللغو والحزن

يزيد الذكاء والفهم

يقوي المنطق والحجة

يزيد الثقة بالله

يعمق الثقة بالنفس

يوفق للعمل الصالح

يجدد الحياة

سبب في نصر الأمة

يبارك في العمر

يسمح الخواطر

يهدي الأعصاب

أمان من النفاق

يجلب الخير

يستر العيوب

يرفع الدرجات

يطهر القلب

ينزل البركات

يمحو الذنب

يذهب الوهن

يرقق القلب

يعلم الإحسان للناس

يثبت عند سؤال الملكين

يعلم قبول أعذار الخلق

تذكرك الملائكة في السماء

ردمك × ٨٧٢ - ٤٤ - ٩٩٦٠